مطبوعات مجمع اللغة السريانية
بغـــداد

سيرة

مار افرام السرياني

ܫܪܒܐ ܕܡܪܝ ܐܦܪܝܡ

تأليف
زكا عيواص

مطـران بغـــداد والبصرة للســريان الارثوذكس
وعضو مجمع اللغة السريانية

صدر بمناسبة مهرجان مار افرام ـ حنين
بغـــداد
٤ ـ ٧ شـباط ١٩٧٤

ساعدت وزارة الاعلام على نشره

رقـم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغـداد
(٧٥ لسـنة ١٩٧٤)

مطبوعات مجمع اللغة السريانية
بغـــداد

سيرة

مار افرام السرياني

ܫܪܒܐ ܕܡܪܝ ܐܦܪܝܡ

تأليف

زكا عيواص

مطـران بغـــداد والبصرة للســريان الارثوذكس
وعضو مجمع اللغة السريانية

صدر بمناسبة مهرجان مار افرام ـ حنين
بغـــداد
٤ ـ ٧ شـبـاط ١٩٧٤

ساعدت وزارة الاعلام على نشره

تصدير

إيه أفرامنا العظيم !

« ياشمس السريان وكنارة الروح القدس »

يامعلم الكنيسة الجامعة .

قد اتخذنا أناشيدك العذبة الشجية صلوات نرفعها لله تعالى صباح مساء. وجعلنا من قصائدك البديعة طقوسا دينية وفرائض روحية ، ونصوصا سائغة عذبة ، نترنم بها في أفراحنا وأتراحنا .

ان لغتك السريانية التي كادت تتلاشى مع الايام ، وتنسى مع الاجيال ، عادت فبعثت اليوم من لفائف المجهولات ، مزدهرة في عراقنا الحبيب .

وها نحن اولاء نحتفي بالذكرى المئوية السادسة عشرة لوفاتك يامن ذبت شمعة وطلعت شمسا لتنير الدرب أمام بني قومك .

ففي ذكراك نرفع الهامة مفاخرين بك العالم ، حيث انك رفعت رايتنا عاليا ، وفزت بالقدح المعلى زهدا وتقى ، وحملت مشعل العلم والثقافة ، وتقدمت صفوفنا ، فلا غرو منا اذا كنا نعطر بترداد اسمك المبارك افواهنا وشفاهنا ، فقد صار لنا اسمك الطيب كنية فنحن السريان بنو آرام بل بنو افرام .

إيه يامرشد الشبان واكسير قوتهم !!

أطلّ علينا اليوم بطلعتك البهية ، فنحن بأمس الحاجة اليك معلما ومرشدا ، في وقت سعينا ونسعى الى ازالة الاشواك من الطريق ، وصولا الى غرض الوحدة ، التي بها عزنا ومجدنا .

لقد علمتنا ان نتفانى في خدمة مواطنينا ، فنرشد الاغنياء منهم ليمدوا يد العون للفقراء ، والاقوياء ليسندوا الضعفاء ، وان نواسي المرضى ، ونعزي الحزانى .

لقد علمتنا خاصة ان نهيم فى حب وطننا ، ونذود عن حياضه ، ونضحي بالغالي والنفيس في سبيل نصرته .

فما أحوجنا اليك اليوم معلما ومرشدا لنخوض معركة المصير ضد الصهاينة أعداء امتنا والانسانية ، الذين اغتصبوا فلسطيننا المقدسة ، وشردوا اخوتنا ، وهتكوا حرمة معابدنا ، وانتهكوا مقدساتنا .

فلنا في ذكراك يا افرامنا العظيم ، دروس قيمة فى النضال .

فليبق نور سيرتك الطاهرة ، مشعلا ينير أمامنا سبيل الجهاد حتى النصر .

بغداد ١/١/١٩٧٤

زكا

الفصل الاول

عرض عام

قبل أن تتناول سيرة مار افرام السرياني بالدرس والتمحيص لابد ان نلقي نظرة عجلى الى اللغة السريانية التي كتب بها ، والادب السرياني الذي أدركه في أوج مجده نقيا صافيا خاليا من العجمة والفكر الديني الفلسفي الذي أغناه بشعره ونثره .

كما لابد لنا أن نلم بأخبار الكنيسة والعالم في عصر مار افرام لنكتشف ينابيع المعرفة لديه والمحفزات التي دفعته الى هجر العالم ، والزهد في الدنيا ، والتضحية بالنفس والنفيس في خدمة الله تعالى والانسانية المعذبة .

اللغة السريانية والفكر السرياني

كانت اللغة السريانية الآرامية لغة قوم استوطنوا بلاد مابين النهرين ، وارتقوا معارج الحضارة والمدنية في الاجيال السحيقة في القدم ، فنمت لغتهم وازدهرت وصارت مرنة سلسة غنية بالالفاظ والتعابير ، وظلت أجيالا عديدة اللغة الرسمية للدول التي حكمت بلاد الشرق الادنى ، وامتد سلطان هذه اللغة الى مصر وآسيا الصغرى وشمال بلاد العرب والهند والصين[1] ــ ودالت تلك الدول وزالت ولكن اللغة السريانية بقيت خالدة بتراثها الادبي الثمين رغم الصعوبات التي جابهتها ، وعنت الدهر وتقلبات العصور .

---

(1) الروم ــ للدكتور أسد رستم ــ بيروت ١٩٥٥ ج ١ ص ٤٣ و ٤٤ وكلدو واثور ــ للمطران ادى شير ــ بيروت ١٩١٣ مج ١ ص ١٦ . والعصور القديمة لبراستدف ٢١١ ص ١٠٩ . وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ــ بيروت ١٩٥٨ ص ١١ . واحيقار حكيم من الشرق الادنى القديم ــ لانيس فريحة ــ بيروت ١٩٦٢ ص ١٨ الحاشية (وطالع أيضا في سفر دانيال (٢ : ٤) حيث يتضح بأن اللغة السريانية الآرامية كانت لغة المخاطبة واللغة الدولية في المملكة البابلية . وجاء بعدئذ في سفر عزرا (٤ : ٧) ان « في أيام الملك ارتحشستا كتب بشلام ومطردات وطبئيل وسائر رفاقهم الى ارتحشستا ملك فارس وكتابة الرسالة بالآرامية » وكان ذلك سنة ٥٢٢ ق.م حيث ان الدولة الفارسية اتخذت اللغة الآرامية لغة رسمية في جميع أنحاء المملكة .

وتاريخ الفكر السرياني يبدأ مع الزمن ، ولكن لم يصل الينا من الادب السرياني قبل المسيح سوى كتاب احيقار وزير سنحاريب ملك آثور (٦٨١ ق٠م) وهو كتاب يحتوي على نصائح وحكم وفيه حكايات عدة ويظن وضعه في هذا الزمان أو حوالي القرن الخامس قبل الميلاد ٠٠ كما وصلت الينا أبيات يسيرة لـ (وفا) الشاعر الارامي الفيلسوف ، وبضع أساطير نقشت على ضرائح ملوك الرها ، ولكن هذا اليسير لا ينقع غليلا ولا يغني فتيلا[٢] ٠

ذلك ان السريان في فجر المسيحية عندما فتحوا صدورهم للدين الجديد ، أبادوا جميع آثارهم الادبية الوثنية خوفا على أولادهم من الكفر ، فانقلب الادب عندهم الى أدب ديني مسيحي حرصوا عليه كثيرا وأخذوا يعبون كؤوسهم من جداوله الرقراقة فشفى غليلهم ٠

وجاء الفكر السرياني الديني ناضجا ، حيث نُقل الكتاب المقدس بعهديه من اللغتين العبرية واليونانية الى السريانية في أواخر المئة الاولى أو صدر الثانية وهذه الترجمة تسمى بالبسيطة (فشيطتا)[٣] وقد جاءت فاتحة للادب السرياني المسيحي وبرهانا ناصعا على غنى لغة السريان وتعمقهم في اللغتين العبرية واليونانية وكانت الاخيرة لغة الحضارة عصرئذ ٠ وفي القرن الثاني أيضا برز الفيلسوفان السريانيان طيطيانس الكاتب النحرير وبرديصان الشاعر الكبير ، وفي القرن الرابع كان الفكر السرياني قد بلغ الذروة حصيلة لأجيال عديدة مثقلة بالعلم والمعرفة فمنّ علينا وانجب لنا افرام الشاعر المفلق وعملاق الادب السرياني الذي لايجارى فقد اجتمعت فيه صفات العبقرية بعقدها وسمطها فجاءت كتاباته شاهدة صادقة على نضوج الفكر السرياني في تلك العهود ٠

ولم يكتف السريان بالفكر الديني بل أخذوا الثقافة اليونانية من الاسكندرية وانطاكية ونشروها في أطراف سوريا وبلاد ما بين النهرين التي كانت يومئذ نقطة اتصال ما بين الامبراطوريتين الرومانية والفارسية ٠ ولما جاء

---

(٢) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريرك افرام الاول برصوم طبعة حلب ١٩٥٦ ص ٢٤ و ١٩٢ ٠

(٣) اللؤلؤ المنثور ص ٥٧ و ٥٨ وادب اللغة الارامية للاب البير ابونا ــ طبعة بيروت ١٩٧١ ص ٤٥ ٠

العرب فاتحين ، تعاضد السريان معهم ، ومدوهم بثقافة اليونان التي تبنوهـا وأوسعوها درسا ونقلوها الى لغتهم السريانية ثم الى لغة الضاد ، وكانت هذه الثقافة تضم من العلوم الفلسـفة والطب والكيميـاء والفـلك والرياضيات والطبيعيات وغيرها .

ولم يقف السريان عند حد الترجمة بل تعدوا ذلك الى التعليق والدرس والتمحيص ، بل التأليف أيضا ، الأمور التي ساعدتهم على تبوء اسمق المراكز في البلاطات العباسية .

فتاريخ الفكر السرياني جزء لا يتجزأ من تاريخ الحضارة البشـرية لان رجاله خدموا العالم اذ حملوا مشعل الثقافة وسلموه اخوانهم العرب ، فنقله هؤلاء بدورهم الى أوربا عن طريق الاندلس فأناروا دياجير ظلماتها ، ولايزال المستشرقون حتى اليوم يغترفون من بحار التراث السرياني العربي والعربي السرياني ــ فوائد جليلة هي درر غوال قلما يعثرون على مثلها في سواها .

وقد ازدهر الفكر السرياني بوساطة المدارس التي أسسها السـريان في القرى والمدن والاديرة فبلغ عددها في القرن الخامس في ما بين النهرين فقط نحو خمسين مدرسة تدرس فيها العلوم بالسريانية واليونانية أشهرها مدرسة نصيبين والرها وقنسرين ، وكانت هذه المدارس تتبعهـا مكتبات[٤] فالعصر الذهبي للفكر السرياني استغرق وأوفى القرن الرابع للميلاد وامتد حتى القرن التاسع ثم بزغ ثانية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر[٥] وقد ظهر للسريان في هذه الفترات الزمنية علماء أفذاذ خلفوا آثارا علمية وأدبية وفلسفية نفيسة

---

(٤) عصر السريان الذهبي ــ للفيكونت فيليب طرازي طبعة بيروت ١٩٤٦ ص ١٠ وضحى الاسلام ــ لاحمد امين ــ الطبعة السادسة بالقاهرة ١٩٦١ جـ ٢ ص ٥٩ .

(٥) عصر السريان الذهبي ص ٥ عن روبنس دوفال : الاداب السريانية : قسم ٢ ص ٣٣٧ والاب لابور المسيحية في الدولة الفارسية ص ٣٥١ واللؤلؤ المنثور ص ٢٣٣ ــ ٢٣٦ واللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية للمطران اقليميس يوسف داود طبعة الموصل ١٨٩٦ مجـ١ ص ٢٠١ ــ ٢٠٣ والمروج النزهية في آداب اللغة الارامية للمطران يعقوب اوجين منا طبعة الموصل ١٩٠١ .

وعلى الرغم من ضياع العديد من نتاج فكرهم الجبار فلا تزال مكتبات العالم تفخر بما احتوته من تصانيفهم في شتى أفانين العلم والمعرفة •

فلا سبيل اذن لفهم تاريخ الفكر الانساني فهما كاملا الا بالاطلاع على تاريخ الفكر السرياني •

ومما لا يختلف فيه اثنان ، ان الفكر ابن بيئته ، وخلاصة تاريخ القوم الحاملين مشعله ، لذلك كان لابد لمن يسعى لدارسة سيرة مار افرام عملاق الفكر السرياني الديني ان يلقي نظرة عابرة على أحوال العالم الشرقي والكنيسة السريانية في القرن الرابع •

العالم الشرقي والكنيسة السريانية في القرن الرابع

ثلاثة قرون ونيف تصرمت مذ حمل الرسل الاطهار مشعل الانجيل المقدس الى بلاد ما بين النهرين فأناروا دياجير ظلماتها • وخلال تلك القرون الثلاثة كانت الكنيسة منهكة القوى ، متعبة ، اذ عانت كثيرا من ظلم الفرس والرومان وقدمت على مذبح الايمان شهداء أبرارا لا يحصى لهم عدد •

ويطل القرن الرابع على بلاد المشرق فيرى قسما منها تحت حكم الدولة الرومانية في بلاد مابين النهرين العليا وأطراف سوريا وأنحاء حوض البحر المتوسط ، والقسم الآخر تحت حكم الدولة الفارسية الساسانية في بلاد ما بين النهرين السفلى • وكانت هاتان الدولتان تتنازعان السلطة ، لذلك كان شبح الحرب الرهيب قد بسط جناحيه المظلمين على كل جبل من جبالها ، وفوق كل مدينة من مدنها ، وقرية من قراها • ونتيجة لذلك كنت ترى ، بين الفينة والفينة، تيجانا تتدحرج ، وعروشا تتحطم ، وأوبئة تعم ـ ومجاعات تنتشر ، وأشلاء الناس تغطي الدروب وهي تقيم الحجة على ما وصل اليه الانسان من الانحطاط اذ بلغ أحط دركات الهمجية وبز الوحوش الكاسرة شراسة ، وانقض على أخيه الانسان يمتص دمه القاني حتى القطرة الاخيرة[٦] •

وقد أذاقت الدولة الرومانية الكنيسة المسيحية منذ فجر النصرانية وحتى الربع الاول من القرن الرابع اضطهادات قاسية بدأت باضطهاد نيرون في سنة

---

(٦) تاريخ البطريرك مار ميخائيل الكبير بالسريانية ـ طبعة باريس ١٨٩٩ ص ١٢٩ ـ ١٤٠ •

٩٤ م وانتهت باضطهاد ديوقلطيانس سنة (٣٠٣ – ٣١٣) الذي كان الاضطهاد العاشر والأخير وهو أقسى الاضطهادات وافظعها وقصد ديوقلطيانس باثارته تدمير الكنيسة برمتها ، واخفاء معالمها . وقد بلغ الاضطهاد أوج عنفه عندما أصدر هذا الطاغية منشوره في ١٤ شباط سنة ٣٠٣ وفيه أمر عملائه بإبادة الكنائس ، وحرق الكتب المسيحية ، كما قرر أيضا حرمان المسيحيين من حقوقهم المدنية واستباحة دمائهم[٧] .

وكانت المسيحية في القرن الاول للميلاد ، قد انتشرت في مملكة فارس المعروفة ببلاد الآراميين . وناصبتها المجوسية العداء ، لذلك لم ينج المسيحيون من اضطهادات محلية[٨] وفي سنة ٢٩٦ تم الأتفاق ما بين ديوقلطيانس قيصر الروم المذكور أعلاه ، ونرسي بن شابور الاول ملك الفرس ، على ان تكون ما بين النهرين تحت سلطة الدولة الفارسية وجعلت نصيبين مركزا للعلاقات التجارية ما بين الامبراطوريتين لأنها واقعة على الحدود[٩] .

ولكن عندما أعلن قسطنطين الامبراطور الروماني مرسوم ميلان عام ٣١٣ وفيه أقر الحكم الشرعي للمسيحيين في ممارسة شعائر دينهم ، تطورت الخصومة ما بين شابور ملك الفرس وخصمه الامبراطور الروماني ، وانقلب النزاع بينهما من نزاع مادي استراتيجي الى نزاع عقائدي ديني – وهكذا فعلى اثر عقد قسطنطين مجمع نيقية عام ٣٢٥ وهو المجمع المسيحي المسكوني الاول نجد شابور يعقد مجمعا زرادشتيا يضم أئمة الدين الفارسي ، فيقر نصا رسميا نهائيا لكتاب ادفستا ، ونراه على أثر فشله في الاستيلاء على نصيبين بعد ان ضيّق عليها الحصار سنة ٣٣٨ وعاد الى بلاده مخذولا مخزيا . واشتد وطيس غضبه على ملوك الروم انزل بنصارى بلاده ما بين سنة ٣٤٠ وسنة ٣٧٩

---

(٧) الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة – للبطريرك افرام الاول برصوم طبعة حمص ١٩٤٠ ص ٣٤٤ – ٣٧٦ وتاريخ الروم – للدكتور اسد رستم بيروت ١٩٥٥ جـ ١ ص ٣٢ – ٣٦ وتاريخ الرهبانية للدكتور حكيم امين – القاهرة ١٩٦٣ ص ٥ .

(٨) خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية – للكاردنيال اوجين تسران – تعريب القس سليمان صائغ – الموصل ١٩٣٩ والدرر النفيسة ص ٤٦٨ – ٤٦٩ وذخيرة الاذهان – للقس بطرس نصري – الموصل ١٩٠٥ مج ١ ص ٧٦ .

(٩) الروم جـ١ ص ٥٠ وكلدو وآثور مج ٢ ص ٢٧ و ٢٨ .

اضطهادات قاسية واسعة النطاق ، ظلما وعدوانا ، لأنهم دانوا بدين قيصر الروم[10] . ولا بد ان نذكر عن الامبراطور قسطنطين إنه لئن احتضن المسيحية وسعى لنشرها لكنه لم ينزع عنه لقب « الكاهن الأعظم » اللقب الوثني الذي يجعله حامي الدين ، لذلك لم يغلق من الهياكل الوثنية سوى التي أقفرت حين تنصر اتباعها وذووها ، والتي كانت مصدرا للرجس والعهارة . ولكي لا يجرح احاسيس الوثنيين الكثيري العدد في رومية نقل عاصمته الى بيزنطية سنة ٣٣٠ حيث وسعها فنسبت اليه وصارت عاصمة القياصرة المسيحيين وارتأى بعضهم بأن قسطنطين لم يقتبل العماد المقدس حتى سنة ٣٣٧ أي قبيل وفاته بمدة قصيرة وكان عمره آنذاك خمسا وستين سنة فطوّبه بعد موته المسيحيون وألهه الوثنيون ، لأنه أفاد الأولين ولم يسيء الى الآخرين[11] .

أما شابور الثاني ملك الفرس فقد رأى في المسيحيين أعداء له طالما يدينون بدين ملوك الروم ، فأصدر أمره سنة ٣٤٠م بهدم الكنائس واستدعى الى كرخ ليدان في الأهواز الجاثليق مارشمعون برصباعي وخمسة من الاساقفة وسبعة وتسعين قسا وشماسا وأمرهم بالسجود للشمس والنار فرفضوا ــ فالقاهم في السجن ثم ضرب أعناقهم عشرة فعشرة واستشهد معهم أيضا كوشتازاد رئيس الموالي ، وكان استشهادهم بدء الاضطهاد العنيف الذي استمر مدة اربعين سنة فسمي بالاضطهاد الأربعيني ، واستهدف بادىء بدء رجال الاكليروس ثم شمل المسيحيين كافة في سائر مقاطعات المملكة الفارسية . وقد تحالف ضدهم المجوس واليهود والمانويون الحاقدون الموتورون الذين راق لهم أن يروا المسيحيين معذبين ، ولم يتوقعوا ان يروا هؤلاء المؤمنين يتقدمون الى ساحات الاستشهاد زرافات ووحدانا الوفا مؤلفة من سائر طبقات الشعب رجالا ونساء واطفالا يتقدمهم رجال الاكليروس وقد أظهر الجميع بطولات تفوق الوصف

---

(١٠) ذخيرة الاذهان ــ ص ٧٦ ــ ٩٢ والدرر النفيسة ص ٤٧٠ والروم جـ ١ ص ٧٥ .

(١١) الطرفة النقية ــ من تاريخ الكنيسة المسيحية للخوري عيسى أسعد حمص ١٩٢٤ ص ٧٦ و ٧٧ والروم جـ ١ ص ٥٤ .

وبلغ عددهم بحسب رأي بعض المؤرخين مئة وستين الفا • ولم يرتو سابور من دمهم حتى هلك سنة ٣٧٩[١٢] •

هذه خلاصة الخلاصات لاحوال المجتمع في بلاد ما بين النهرين العليا والسفلى في القرن الرابع للميلاد ، وهي خلاصة مؤلمة يندى لها جبين التاريخ فيها يتناحر الخير والشر ، وتتصارع قوى الظلمة والنور في المجتمعين السياسي والديني • ولا غرو فقد كان طريق الكنيسة السريانية في القرون الاربعة الاولى للميلاد مفروشا بالاشواك الناسية مخضبا بالدماء الزكية ، اتعبها الاضطهادان الوثني واليهودي ، كما انهكها الانقسام العقائدي في صفوفها • وبينما كانت الكنيسة تجتاز هذه المراحل الحاسمة من تاريخها المجيد ، تصارع المصائب والشدائد ، فتنتصر عليها ، كانت الاديرة ودور العلم تنتشر في كل مكان ، في السهول وعلى الهضاب والجبال ، وترفع اعلامها عالية وتضيء منائرها العالم في الظلمة وظلال الموت ، جادة في تحصيل العلوم المتنوعة والمعارف المختلفة . وقد تخرج فيها علماء افذاذ ضلع بشتى المعارف •

وان ظهور البدع والآراء المتطرفة في الدين دفعت العلماء الى التتبع الفلسفي فاقترن علم اللاهوت بالفلسفة ، واتخذت الفلسفة سلاحا للرد على المبتدعين ودحض مزاعمهم الباطلة ، واثبات حقائق الدين المستقيم بالبراهين العقلية بالاضافة الى آيات الكتاب المقدس • فتوسع الفكر السرياني اذ ذابت فيه حضارات اليونان والرومان والفرس والعرب ، وسكب هؤلاء جميعا علومهم وثقافتهم في بودقته فخرج بنتاج جبار كتب له الخلود • ونتيجة لذلك فقد توسعت اللغة السريانية اذ دخلتها المصطلحات الفلسفية والعلمية العديدة وتنشطت وازدهرت واغتنت بالالفاظ والتعابير في شتى المجالات العلمية فجارت التقدم العلمي والحضاري والديني والفلسفي الذي وصل اليه العالم يومذاك •

---

(١٢) الدرر النفيسة ص ٤٦٥ ــ ٤٧١ وكلــدو وآثور مج ٢ ص ٢٧ و٢٨ وخلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص١٦ــ١٨ والتاريخ البيعي للعلامة المفريان ابن العبري بالسريانية طبعة لوفان ١٨٧٢ ج ٣ ص ٣٣

وكان الى جانب الحركة العلمية الواسعة حركة نسكية مباركة فقد ظهر في هذه الفترة نساك ورهبان اتقياء عبدوا الله بالروح والحق ، وكان مار افرام السرياني في الرعيل الأول بينهم في بلاد ما بين النهرين علما وتقى ، واننا نلمس في كتاباته ما عاناه الشعب من أوزار الحروب الطاحنة وآلامها والانقسامات الداخلية القاسية وكيف انه صمد أمام تيارات البدع متمسكا بايمانه بعروة وثقى فكتب له النصر المبين .

الفصل الثاني

المصادر القديمة لسيرة مار افرام

ان أول من دوّن سيرته بالسريانية تلميذاه زينوبيوس شماس الرها ، وشمعون السميساطي ، وقد فقد النصان لهذين التلميذين[١٣] • وأما السيرة التي بين أيدينا فقد كتبت بالسريانية بعد وفاته بسنين عديدة وكاتبها مجهول ، وجاءت بنصين اضيف اليهما زيادات[١٤] دسها النساخ جهلا ، وهي من نسج خيالهم ، وبعضها بعيد عن التصديق ، وبعضها قد تكون جرت لناسك ما غير مار افرام • ولا يصعب على الناقد النزيه غربلة السيرة وتجريدها مما الصق بها من اضافات لا تمت اليها بصلة •

وفي أواخر القرن الخامس ظهر للسريان شاعر مفلق لا يقل عن مار افرام علما ونسكا وقد أفاد من مؤلفات مار افرام ، واشتهر بالكتب التي أغنى بها الادب السرياني الا وهو الملفان مار يعقوب السروجي (٤٥١ — ٥٢١) الذي نظم قصيدة يتيمة على البحر الاثني عشر قرّظ بها مار افرام[١٥]

---

(١٣) الدرر النفيسة ص ٥٢٦ واللؤلؤ المنثور له الطبعة الثانية حلب ١٩٥٦ ص ٢٥٣ •

(١٤) اللؤلؤ المنثور ص ١٨٣ ودائرة المعارف البريطانية الطبعة الحادية عشرة سنة ١٩١٠ مج ٩ ص ٦٧٨ . وللسيرة مخطوطان نقلا عن الاصل ، توّفق يوسف سمعان السمعاني الى احدهما في مكتبة الفاتيكان فنشر قسما منه ، ثم نشره كاملا المطران اسطفان عواد السمعاني الماروني عام ١٧٤٣ وبعناية ر. كوبيرت نشرها مع شذرات سريانية مختارة رودلفس ويسلي في روما سنة ١٩٥٢ وحفظ الثاني في باريس ونشره الاب بولس بيجان عام ١٨٩٢ في المجلد الثالث من سيرة القديسين والشهداء . كما نشره المستشرق يوسف افريك عام ١٨٩٥ ونشره لامي في مجموعة تآليف مار افرام غير المنشورة . كما نشرت ترجمة هذا النص بالعربية في الموصل عام ١٨٨٣ . ولسيرة مار افرام مختصر في مخطوطين في الفاتيكان وبرلين ونبذ متعددة بالعربية واليونانية واللاتينية والافرنسية والانكليزية والالمانية ، قلت فيها المعلومات التاريخية الصرفة .

(١٥) اللؤلؤ المنثور ص ٢٧٥ و ٢٧٦ وتأريخ كلدو وأثور مج٢ ص ٥٠ .

وأشاد بعبقريته وشبهه « بالينبوع الفياض الذي روت مياهه أرض الايمان ، والصخرة المعتقة التي أخذت صفاتها من دماء الجلجلة » كما وصفه بالفيلسوف والمعلم الصالح الذي عمل وعلم ، والفلاح الناجح الذي حرث أرض القلوب بكلمات الانجيل ، والمهندس الماهر الذي اسس بنيان الايمان على صخرة الحق • والكاتب القدير الذي نسج على منوال الرسل وطبع على غرارهم ، والشاعر المبدع الذي جاش قلبه كالبحر الخضم بالميامر[١٦] التي لا تحصى والمداريش[١٧] التي لا تعد • وهو يطري خاصة دعم مار افرام الايمان المستقيم الرأي ، ودحضه أصحاب البدع وخاصة هرطقات مرقيون وماني وبرديصان • ويشيد بتلقينه الفتيات الاناشيد الشجية وقصائده العذبة ليترنمن بها في دورهن ويشنفن بها أيضا آذان المؤمنين في الكنيسة ، ومن هنا نعلم أن مار أفرام هو أول من أدخل الفتاة السريانية في خدمة الكنيسة ، وأول من ألف جوقة من العذارى لخدمة الهيكل ، وكان هو بنفسه يعلمهن الالحان ويلقنهن الميامر والمداريش ، حتى شبهه مار يعقوب في قصيدته السالفة الذكر « بنسر انتصب بين الحمامات الوديعة » وأظهر ما كان يتصف به من الفضائل السامية خاصة الايمان والرجاء والمحبة • ويسميه تاج الامة السريانية جمعاء[١٨] ومما يجدر ذكره ان مار يعقوب الذي أطنب في قصيدته هذه بمدح سمو تعاليم مار افرام وقدرته الكتابية وعبقريته لم يذكر شيئا عن حياته النسكية[١٩] • وتعتبر قصيدة مار يعقوب هذه أقدم مصدر سرياني وصل الى أيدينا وأهمه ، وقد جاءتنا نقية خالية من الزيادات والشوائب[٢٠] وحيث ان شهرة مار افرام طبقت

---

(١٦) الميامر • جمع ميمر كلمة سريانية تعني مقالة • خطبة • قصيدة وهي الاعم (١٧) مداريش • جمع مدراش كلمة سريانية تعني • ترتيل • نشيد وهو شعر يصاغ على أوزان مختلفة والحان شتى بلغ عددها الخمسمائة دبجها مار أفرام (٣٧٣ +) اما مستنبطه فهو برديصان (+ ٢٢٢) عن اللؤلؤ المنثور • ص ٦٢٠ و ٢١ ٦.

(١٨) اخبار الشهداء والقديسين بالسريانية ، نشرة الاب بولس بيجان ٣ : ٦٦٥-٦٧٩ .

(١٩) تاريخ كلدو وآثور مج ٢ ص ٥٠ عن المصدر السابق .

(٢٠) المخطوطات السريانية في مكتبة الفاتيكان تحت رقم ١١٦-الميمر الرابع في مار افرام . وقد كتبت المخطوطة سنة ٨٥٧ م .

الخافقين ، فقد ترجم العديد من مصنفاته الى اللغة اليونانية وهو لايزال حيا فاطلع عليها الآباء الناطقون باليونانية واشادوا بها وبمؤلفها وقد وصل الى أيدينا بعض ما كتبه هؤلاء الآباء ، كالخطبة التي ألقاها غريغوريوس النوسي (+ ٣٩٦)(٢١) باليونانية في تأبين مار افرام حيث أطرى فيها فضائله ، واستهلها بالآية الكريمة « ولا يوقدون سراجا ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت » (متى ٥ : ١٥)(٢٢) ويتضح لنا من قراءتها ان غريغوريوس النوسي قد عرف مار افرام معرفة مستمدة من مطالعة تآليفه ، لانه يؤكد في خطبته انه انما يقتبس حقائق سيرة ومناقبها من كتابات مار افرام نفسه(٢٣) .

ونوه عن كرم محتده ونبل ارومته وطيب نشأته ، ومدح تمسكه بالايمان والرجاء والمحبة واعمال البر والاحسان التي كان يقوم بها ، وثناء سيرته وصفاء سريرته ، وتبحره في علوم الكتاب المقدس والفلسفة والمنطق ووقوفه في جانب الحق ، وجهاده في سبيل العقيدة المستقيمة الرأي ومناوأته الهراطقة ومناهضته أصحاب البدع وانتصاره عليهم ، ويذكر انتقاله من نصيبين الى الرها وبعض

---

(٢١) هو اخو القديس باسيليوس الكبير اسقف قيصرية قبدوقية (+٣٧٩) واصغر منه سنا . ولد في قيصرية قبدوقية نحو سنة ٣٣٥ وتعمق في العلم ثم علّم الخطابة . وتزوج ثم هجر زوجته وترهب ، ورسمه أخوه القديس باسيليوس الكبير اسقفا لمدينة نوسة في قبدوقية سنة ٣٧١ وتوفي نحو سنة ٣٩٦ . الف كتبا عديدة تدل على تعمقه بالكتاب المقدس وتفسيره وعلم اللاهوت والفلسفة والادب . (تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس . طبعة بيروت ١٨٩٩ مج ٤ جـ ٢ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ والدرر النفيسة ص ٥٥٦ و ٥٥٧) .

(٢٢) نشرها مين مج ٤٦ ص ٨١٩ـ ٨٥٠ وقد نقلت الى العربية في القرن الحادي عشر على الارجح ونشرت في مجلة الشرق البيروتية ١٩ : ١٩٢١: ٤٥٢ ـ ٤٥٩ و٥٠٦ ـ ٥١٦ وحققها ونشرها البطريرك افرام الاول برصوم في المجلة البطريركية في القدس السنة السابعة ـ الاعداد الاول والثاني والثالث لسنة ١٩٤٠ .

(23) A Select Library of Nicene and Post Nicene Fathers of Christian Church. Second Series — Volume XIII — Grand Rapids — Michigan — 1956. PP. 137.

الحوادث التي جرت له وسفره الى مصر وقيسارية قبدوقية وزيارته باسيليوس الكبير[٢٤] وهو شقيق غريغوريوس النوسي كاتب الخطبة .

كما يشهد بذكر مؤلفاته مما يبرهن على انها ترجمت في حياته الى اليونانية فقرأها غريغوريوس النوسي الذي لا نظنه كان يعرف السريانية ، وقد استشهد ببعض عبارات مار افرام ولاسيما وصيته الأخيرة .

وعلى الاغلب ان هذه الخطبة قد غلفها بعض النساخ بحلة من الغلو والصقوا بها أخبارا بعيدة الوقوع .

فاذا جردناها من ذلك فانها تعد أهم مصدر يوناني الاصل لسيرة مار افرام السرياني .

وكتب القديس يوحنا الذهبي الفم (+ ٤٠٧) عن مار افرام فقال : « افرام كنارة الروح القدس ، ومخزن الفضائل معزي الحزانى ومرشد الشبان وهادي الضالين ، كان على الهراطقة كسيف ذي حدين »[٢٥] .

وقال فيه القديس هيرونيمس (+ ٤٣٠) وهو أحد كتاب السيراليونانيين المشاهير[٢٦] مايلي « افرام شماس كنيسة الرها ألف كتبا كثيرة في اللغة السريانية وقد بلغ من الشهرة والتوقير — ان بعض الكنائس تتلو ما كتبه على الشعب في الكنائس بعد تلاوة منتخبات الاسفار المقدسة وقد طالعت في اليونانية كتابه في الروح القدس مترجما عن السريانية ووجدت فيه قمة الذكاء السامي في الترجمة أيضا »[٢٧] .

وقال فيه سوزومين المؤرخ اليوناني (+ ٤٢٣) ما ملخصه : « انه ارفع من كل ثناء ، وقد زين الكنيسة كلها أفخر زينة وفاق الكتاب اليونانيين بحكمته

(٢٤) لا يسلم بعض النقاد بصحة زيارة مار افرام لمصر وقيصرية قبدوقية (انظر هنا نقد السيرة) .

(٢٥) الدرر النفيسة ص ٥٢٣ .

(٢٦) اللؤلؤ المنثور ص ١٩٧٣ .

(٢٧) تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس — بيروت ١٨٩٩ مج ٤ ج ٢ ص ٢١١ عن كتاب المشاهير DE VIRIS ILLUSTRIBUS لهيرونيمس الفصل ١١٥ .

ورونق كلامه واصالة رأيه وسداد برهانه ، فاذا ترجمت كتبهم الى السريانية أو غيرها من اللغات اضاعت رونقها وانحطت عن مقامها واما كتب افراد فقد ترجم بعضها من السريانية الى اليونانية وما برح بعضها يترجم الى الآن ويتملك قارئها باليونانية العجب من فصاحتها وانسجامها ودقة معانيها كمن يقرأها في أصلها السرياني الذي كتبت فيه . وان باسيليوس اسقف قيصرية قبدوقية قد دهش بهذا الرجل وتحير بما أوصله الى هذه الفصاحة السامية »[28] .

(28) تاريخ سورية للدبس ص ٢١١ و٢١٢ عن تاريخ سوزومين ك ٣ ف١٦ (انظر ايضا كنيسة مدينة الله انطاكية ـ للدكتور اسد رستم بيروت ١٩٥٨ ج ١ ص ٢٨٩ .

الفصل الثالث

ولادة مار افرام ونشأته

وهجره العالم

ولد في نصيبين في مطلع القرن الرابع[٢٩] من أبوين مسيحيين[٣٠] ، ارضعاه لبان التقى وربياه على التعلق بأهداب الفضيلة والتمسك بالدين بعروة وثقى .

ذكر في وصيته الاخيرة لتلاميذه ، انه عندما كان فتى صغيرا رأى في الحلم كرمة نبتت في لسانه وأينعت آلاف العناقيد وربوات الخصل[٣١] وقد فسر مار أفرام هذا الحلم ، فقال : ان العناقيد هي الاشعار ، والخصل هي الأناشيد، مبارك من غرس الكرمة وكثر عناقيدها وخلصها ! !

---

(٢٩) تشعبت الاراء في تثبيت سنة ميلاده ، فزعم بعضهم انه ولد سنة ٣٠٠م وقد جاء ذلك في سيرته المطبوعة بالعربية في الموصل سنة ١٨٨٣ وقال اخرون انه ولد سنة ٣٠٣ وقد جاء ذلك في الدرر النفيسة ص ٥٢٣ وكذلك كتاب المرجانة / لعبد يشوع الصوباوي (+ ١٣١٨) بالسريانية طبعة الموصل ١٩٣٤ وتاريخ الكنيسة السريانية للبطريرك يعقوب الثالث جـ ١ ص ٢٤١ وقال غيرهم انه ولد سنة ٣٠٦ كما جاء في دائرة المعارف البريطانية طبعة (١١) سنة ١٩١٠ مج ٩ ص ٦٧٨ وكذلك قاموس اوكسفورد للكنيسة المسيحية بالانكليزية طبعة لندن ١٩٥٨ ص ٤٥٥ وكذلك في الاداب السريانية للمستشرق روبنس دوفال ص ٣٣٠ وقال غيرهم انه ولد سنة ٣٠٨ كما جاء في الموسوعة الميسرة ـ القاهرة بالعربية ١٩٦٥ ص١٧٧ وارتأى آخرون انه ولد سنة٢٨٥ كما جاء في مجلة لسان المشرق ـ الموصل سنة ١٩٤٩ العددان ٨ و ٩ ص ٧٠ .

(٣٠) الدرر النفيسة ص ٥٢٣ واللؤلؤ المنثور له ايضا طبعة حلب ١٩٥٦ ص ٢٤٣ وتاريخ الكنيسة السريانية للبطريرك يعقوب الثالث جـ ١ ص ٢٤١ وقاموس اوكسفرد للكنيسة المسيحية بالانكليزية ص ٤٥٥ .

(٣١) وصيته الاخيرة طبعة الاب بولس بيجان باريس ١٩٠١ ص ٦٩٣ .

هجرة العـــالم

غالبا ما تكون حوادث بسيطة في حياة المرء أســـبابا ذات نتـــائج تاريخية ضخمة بل نقطة تحـــول في ســـيرته من حيث يـــدري أو لا يـــدري ، وهذه الأمور التي نراها بشرية بحتة انما وراءها قوة سماوية ، وقصد الهي وارادة سامية لا تدركها عقولنا . فانطونيوس أبو الرهبان مثلا يبيع كل مـــا يملك ويوزعه على المساكين ويخرج من العالم ، ويتعبد لله في البرية ، كـــل ذلك ، على اثر رؤيته جسد أبيه الميت جثة هامدة باردة وسماعه قول الســـيد المسيح فى الانجيل المقدس « اذهب بع كل مالك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني حاملا الصليب » (انجيل مرقس ١٠ : ٢١) .

فكم من الناس يرى اباه ميتا — وكم من المسيحيين يسمع قول الرب للشاب الغني « اذهب وبع كل مالك الخ .. » ولكن هذه الحادثة البسيطة . وهذه الآية الكريمة ، كانتا الدافع الظاهر لهجر انطونيوس العالم ، أما الوازع الخفي فهو الله تعالى الذي كثيرا ما يختار الناس ليتعبدوا دون أية علامة ظاهرة تجري لهم .

وقد أعد الله لمار افرام وهو شاب يافع حادثة قد جرت وتجري للكثيرين وكأنها أمر طبيعي أما لمار افرام فكانت نقطة تحول مهمة في حياته الروحية ، ودافعا ظاهرا لتخصيص نفسه لخدمة الله تعالى وعبادته ، أما الوازع الخفي فهو العناية الربانية التي اختارته ليذود عن حياض الكنيسة ، ويقود معلميهـــا في طريق الحق ، ويرفع لواءها عاليا وسط الاضاليل والبدع فيحق الحق ويزهق الباطل . ويذكر كاتب سيرته هذه الحادثة فيقول ما معناه : ان افرام طارد يوما بقرة رجل فقير دخلت حقل أبيه فاختفت في الغابة . ولما جاء صاحب البقرة المسكين يفتش عنها أهانه افرام ووبخه على تركه بقرته ترعى في حقل غـــيره فتقبل الفقير الاهانة ومضى .

وجرى بعد أيام قليلة ان سُرق من قطيع أحد الرعاة بعض الاغنام فاتهم افرام ورفعت عليه الدعوى فزج في السجن وهو بريء ، وذل كثيرا ، وحزنت نفسه ، ورفع قلبه لله بصلاة حارة طالبا مساعدته لاظهار الحق ، وانقاذه من سجنه ، وفي تلك الليلة حلم افرام حلما وكأن ملاكا من السماء ظهر له قائـــلا :

حقا انك بريء من هذه التهمة ، ولكنك لست بريئا من كل جريرة • ولما استيقظ من نومه أخذ يفكر في قول الملاك ، فتذكر حادثة مطاردته البقرة وندم كثيرا على ذلك وخاصة على سوء معاملته لصاحبها الفقير ، فتفجرت عيناه بدموع التوبة السخينة وانتحب على ذنبه وطلب المغفرة من الرب ، وفي تلك اللحظات نذر نفسه لخدمة الله تعالى ووعد ان يهجر العالم حالما يخرج من سجنه وهكذا كان •

ويسرد مار افرام هذه الحادثة في احدى كتاباته التي نقلت الى اليونانية في عهده ثم نقلت الى العربية بعدئذ حيث يقول : انه مكث في السجن ثمانين يوما وان القاضي أعلن براءة ساحته واطلق سراحه ، ويذكر أيضا ان اللذين ولداه بالجسد ثقفاه في الايمان المسيحي وربياه على مخافة الرب وحدثاه عما سبق فكابده آباؤه من العذاب في سبيل الحفاظ على الايمان وحب السيد المسيح • ويقول أخيرا انه سليل الشهداء الصناديد(٣٢) •

---

(٣٢) المكتبة المختارة لاباء مجمع نيقية ـ بالانكليزية طبعة مشيغن سنة ١٩٥٦ القسم الثاني المجلد ١٣ ص ١٣٤ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للبطريرك يعقوب الثالث ج١ ص ٣٠٠ وسيرة مار أفرام السرياني للخوري اسحق ارملة بيروت ١٩٥٢ ص ١٥ عن مخطوطة دير الشرفة ٧ـ١ الميمر الثامن من الميامر الافرامية العربية المنقولة عن اليونانية وعنوانه « توبيخ لنفسه واعتراف » .

الفصل الرابع

تلمذته لمار يعقوب أسقف نصيبين

وجهاده في ادارة مدرستها

كانت نصيبين في القرن الرابع مدينة سريانية قلبا وقالبا ، لغة وحضارة[٣٣] ولموقعها على حدود الدولتين الفارسية والرومانية كانت تتعرض لحروب طاحنة فتخضع لسلطان الفرس حينا ، والرومان أحيانا . أما اليوم فهي تحت حكم الاتراك .

وصفها ياقوت الحموي (المتوفى سنة ١٢٢٨م) بقوله :

« هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام وفيها وفي قراها على مايذكر أهلها أربعون ألف بستان ـ بينها وبين سنجار تسعة فراسخ[٣٤] ، وبينها وبين الموصل ستة أيام ، وعليها سور كانت الروم بنته وأتمه انوشروان الملك عند فتحه اياها[٣٥] . وارتأى بعضهم ان كلمة نصيبين السريانية جاءت من فعل (نصاب) أي نصب وغرس وسميت كذلك لكثرة البساتين فيها[٣٦] ولاهميتها سماها اليونان انطاكية مقدونيا نسبة الى نهر مقدونيوس الذي يمر في وسطها[٣٧] .

---

(٣٣) المباحث الجلية للبطريرك افرام رحماني طبعة دير الشرفة ١٩٢٤ ص ١٥١ و ١٥٢ والجزء الثالث من مجموعته المطبوعة بعنوان Studia Syriaca ص ٦ وما بعدها .

(٣٤) جمع فرسخ وهو ثلاثة أميال .

(٣٥) معجم البلدان لياقوت الحموي ـ طبعة صادر بيروت ١٩٥٧ مج ٥ ص ٢٨٨ .

(٣٦) نبذة تاريخية في مدرسة نصيبين للمطران ادى شير عن نبذة سريانية طبعها العلامة جريدي في لندن سنة ١٨٩١ Cuidi : Legdes

(٣٧) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ـ جـ١ ص ٢٤٠ عن التاريخ المدني السرياني لابن العبري (+١٢٨٦) ص ٦١ .

رسم عليها مار يعقوب أسقفا عام ٣٠٩[٣٨] وكان هذا ناسكا فاضلا صرم حبل الدنيا في شرخ شبابه ، وأخلص العبادة لله منفردا في مغارة قرب المدينة المذكورة ، واختير ليكون أول أسقف عليها ، وكان يتشح بجلد المعزى[٣٩] ووصف بالعلم والخبرة على تهذيب رعيته في اصول الدين المبين وارتقاء معارج الفضيلة .

رأى افرام الفتى النجيب في مار يعقوب خير مثال يحتذى به في النسك والصلاح فقصده ، واعتمد على يديه وهو ابن ثماني عشرة سنة[٤٠] ، وأحبه مار يعقوب كثيرا واتخذه تلميذا وكاتبا في آن واحد ورسمه شماسا[٤١ و ٤٢] فكان مار افرام يقضي بياض نهاره وسواد ليله في الدرس والتحصيل مكباً على مطالعة الكتاب المقدس فتعمق في علومه ، كما اتقن اللغة السريانية وآدابها حتى عد في الرعيل الاول بين أقطابها .

وقد أحب مار افرام استاذه مار يعقوب وأطاعه وأفاد من علمه الروحي ، ولابد انه كان يكمل عمليا ، ما اوصى به بعدئذ ، في سيره في العلم ، كل تلميذ صالح حيث يقول :ـ

ما تعريبه « اكرم الشيوخ واسع في معاشرتهم ، واتخذ لك مجلسا عند أقدامهم ، واصغ الى أقوالهم وتفهمها »[٤٣] . وقد اصطحبه

---

(٣٨) تاريخ كلدو وآثور مج ٢ ص ٤٢ عن تاريخ ايليا برشنايا مطران نصيبين (القرن الحادي عشر) طبعة بروكس في باريس .

(٣٩) الدرر النفيسة ـ ٤٢٢ .

(٤٠) الاداب السريانية لفولوس كبريال وكميل البستاني جـ١ ص١٢٨ ودائرة المعارف البريطانية ـ طبعة ١١ لسنة ١٩١٠ مج ٩ ص ٦٧٨ .

(٤١) اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٤ .

(٤٢) الشماس عند المسيحيين هو من كان دون القس أو الكاهن رتبة والكلمة سريانية بمعنى الخادم أي خادم الرب .

(٤٣) المروج النزهية بالسريانية طبعة المطران يعقوب اوجين منا بالموصل ١٩٠١ جـ١ ص ٣٩ .

مار يعقوب الى مجمع نيقية[٤٤] سنة ٣٢٥م ، وعلى اثر عودتهما أسس مار يعقوب في نصيبين مدرسة ، وكانت مزدهرة حتى القرن السابع[٤٥] وحازت شهرة واسعة ، حيث انه سلم زمام التعليم فيها الى تلميذه العبقري مار افرام ، وقد تقاطر عليها طلاب العلم الديني من بلاد مابين النهرين السفلى التي كانت ترزح عصرئذ تحت نير الحكم الفارسي،فاحتضنتهم مدرسة نصيبين كأم رؤوم، وأرضعتهم لبان العلوم الروحية ، ولذلك دعيت بمدرسة الفرس[٤٦] . وكان لها مار افرام ، المدبر الحكيم ، والمعلم الصالح ، والشاعر المجيد ، والكاتب القدير ، واللاهوتي الدقيق العميق ، والفيلسوف الروحاني الواسع المدارك والقوي الحجة والخبير بالحياة النسكية والتمرس بها .

وفي سنة ٣٣٨ رقد مار يعقوب بالرب[٤٧] ودفن في الكنيسة الفاخرة الفخمة التي شيدها في نصيبين في مدة سبعة اعوام (٣١٣ـ٣٢٠) ، ولا يزال نصفها شاخصا حتى اليوم وفي اسوارها زخارف رائعة ــ وتحت مذبحها الشرقي قبر مربع يحوي ضريحا من الرخام مغطى بحجر مقبب يقال انه ضريح مار يعقوب مؤسس الكنيسة[٤٨] .

---

(٤٤) التاريخ الكنسي للعلامة ابن العبري (+١٢٨٦) بالسريانية طبعة بيلوس ولامي في لوفان في ثلاثة مجلدات ١٨٧٢ ــ ١٨٧٧ مج ١ ص ٢٣ وتاريخ سورية للمطران يوسف الدبس مج ٤ جـ ٢ ص ٢٠٨ ــ والخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للاسقف ايسيذوروس ــ مصر ١٩١٥ جـ ١ ص ٢٥٦ وقاموس أوكسفرد في الكنيسة المسيحية بالانكليزية طبعة لندن ١٩٥٨ ص ٤٥٥ .

(٤٥) تاريخ كلدو وآثور للمطران ادي شير ــ بيروت ١٩١٣ مج ٢ ص ٤١ ٤٢ عن تأسيس المدارس تأليف برحذ بشابا عربايا اسقف حلوان طبعة ادي شير في باترو لوجية كرافين ونو في باريس ١٩٠٧ ص ٦٣ حيث يقول : « ان يعقوب النصيبيني فتح مدرسة في نصيبين سنة ٣٢٥وجعل فيها مار افرام معلما » .

(٤٦) خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص ١٩ .

(٤٧) تاريخ مختصر الدول للعلامة ابن العبري (+١٢٨٦) ص ٨٠ .

(٤٨) تاريخ كلدو مج ٢ ص ٤٢ عن تاريخ ايليا برشنايا مطران نصيبين القرن (١١) طبعة بروكس في باريس ص ٩٨ والدرر النفيسة ص ٤٥٧ و٤٥٨ وعصر السريان الذهبي ص ٣٦ عن مجلة الاثار الشرقية مج ٣ سنة ١٩٢٨ ص ١٨٩ والمشرق مج ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٨٥٠ .

وقد أبن مار افرام استاذه مار يعقوب تأبينا مؤثرا جدا جاء فيه ما يلي : « كان يعقوب حبرا نبيلا احرز انتصارا باهرا في جهاده اذ قرن المحبة بالغيرة في سبيل رعيته ، وتدرع بسلاح التقى وامتاز بعطفه على ابنائه » •

وعلى اثر انتقال مار يعقوب الى الخدور العلوية تسلم مار افرام ادارة المدرسة ــ وان القصائد والاناشيد التي نظمها في مدرسة نصيبين تعرف بالنصيبينية(٤٩) وتعد صورا رائعة لحياة ذلك العصر في تلك المنطقة •

ففيها يصف لنا ما قاسته مدينته في الحصارات والحروب مع الفرس ، وقد عاصر ما تعرضت له المدينة من مثل هذه الضيقات في الاعوام ٣٣٨ و ٣٥٠ و٣٥٩ و٣٦٣ ، ويظهر مار افرام بكتاباته ما كان يكنه قلبه وقلب كل مواطن من ايمان بالله واتكال عليه تعالى ، ويقوم مواقف رجال الكنيسة المشرفة بتشجيع رعيتهم ابان الحروب للدفاع عن المدينة ببسالة ، باذلين فى سبيل ذلك النفس والنفيس كما يقرظ اساقفة نصيبين (٥٠) وهم مار يعقوب (+٣٣٨) وخلفاؤه بابويه (٣٣٨ــ٣٤٩) وولغش (٣٤٩ــ٣٦١) وابراهيم (٣٦١ ــ) •

وكانت اللغة السريانية لغة التدريس الرسمية في مدرسة نصيبين ــ ومما لا شك فيه ان بعض المصنفات اليونانية المسيحية قد نقلت الى السريانية حيث بدأت الترجمة في صدر النصرانية بنقل الكتاب المقدس الى السريانية من العبرية واليونانية ، وازدهرت الترجمة في الربع الاخير من القرن الرابع وصدر الخامس(٥١) ، وكانت اللغة السريانية صالحة للتعبير في مختلف المجالات الفكرية لغناها بالمصطلحات الفنية فتمكنت من استيعاب العلوم الدينية والدنيوية ، وتلك الترجمات لم تغنها كلغة بل كانت برهانا ساطعا على رقيها ، كما جاءت كتابات مار افرام بينة جديدة على ما امتازت به اللغة السريانية من

---

(٤٩) اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٥ .

(٥٠) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية جـ١ ص ٢٤٢ .

(٥١) اللؤلؤ المنثور ص ٢٠٧

المرونة ، وحجة دامغة على النهضة الادبية الثقافية والروحية التي بلغتها الكنيسة السريانية في القرن الرابع بفضل مار افرام ومدرسته .

كما كانت مدرسة نصيبين تتبع في الفلسفة طريقة مدرسة انطاكية[52] « التي كانت تعتمد على ارسطو اكثر من افلاطون ، وكانت مبادئها توجب في كل موضوع بساطة في المنهج وكمالاً في الايضاح وادراكا في تعليم الأيمان »[53] .

وقد تخرج في هذه المدرسة علماء نوابغ ويكفيها فخرا انها انجبت مار افرام وتلاميذه .

(52) الطرفة النقية في تاريخ الكنيسة المسيحية ــ ص ١٤٣ .

(53) الروم جـ ١ ص ١٥٢ والدرر النفيسة مج ١ ص ٥٧٣ .

الفصل الخامس

رهبنتـــه

« طريقة النسك والرهبانية هي الزهد في الغالب عــن كل ما راق مــن الدنيا والانصراف، الى طلب الآخرة بجهاد النفس ومصارعة نواتك الأهــواء، والتحلي باكمل الفضائل المسيحية ٠ وهي طريقة قديمة في النصرانية ، وذكر العلامة ابن العبري انها عرفت بعد الصعود بمئة سنة »[٥٤] ٠

وازدهرت الرهبانية في القرن الرابع للميلاد ، وظهر نساك وعبـــــاد تضوع أريج طهرهم وزهدهم في البلاد ، حتى ان سوزمين المؤرخ اليونـاني (٤٢٣م) يذكر في تاريخه ثلاثين ناسكا في براري سورية الشمالية والوسطى ويؤكد انهم فاقوا نساك مصر في ممارسة الزهد[٥٥] وملأت الاديرة جبـــال بلاد ما بين النهرين وانضوت اليها آلاف الرهبان والراهبات الذين عزفوا عــن الدنيا وسعوا وراء الآخرة ٠

وقيل انه على اثر تلمذة مار افرام على مار يعقوب النصيبيني الناســك الزاهد الذي كان يتشح بجلد المعزى كما مر آنفا ، ألبس الثوب الرهباني[٥٦] وارتأى بعضهم انه اخذ النسك عــن يوليان الناسك الشيخ في جبل الرها ، وهو الذي وشحه بالاسكيم[٥٧] الرهباني[٥٨] ، وكان منسكه بقرب المغارة

---

(٥٤) الدرر النفيسة ص ٤٧٦ و ٤٧٧ ٠

(٥٥) تاريخ كنيسة مدينة الله انطاكية ـ جـ١ ص ٢٨٩ عــن تاريخ سوزمين ٦ : ٢٣ـ٢٤

(٥٦) الدرر النفيسة ص ٥٢٣ ٠

(٥٧) اسكيم : كلمة يونانية تعني الشكل ، الصورة ، الزي ، الثوب وخاصة ثوب الرهبانية ونذرها ٠

(٥٨) سنكسار الروم الكاثوليك ـ للمطران ميخائيل عساف الطبعة الثانية حريصا ـ ص ١١٧ من ذكرى اعياد شــهر كانون الثاني وسيرة مار افــرام للخوري اسحق ارملة بيروت ١٩٥٢ ص ٣٧ ٠

التي كان مار افرام يتنسك فيها . وقد قرظه بأناشيده[٥٩] ، مظهرا ما كان يتصف به من ضروب الزهد والتقشف والعلم الروحاني . ولا غرو فقدكان جبل الرها يومذاك مكتظا بالرهبان[٦٠] وظهر فيهم نساك فضلاء عاشرهم مار أفرام واشاد بذكرهم ومن جملتهم مار ابراهيم القيدوني الناسك الذي نظم فيه مار أفرام خمس عشرة قصيدة ونحلت سيرته لمار أفرام[٦١] .

اتم مار افرام نذور الرهبانية الثلاثة وهي الطاعة اي الخضوع لارادة معلمه ، والفقر الاختياري وهو الا يملك من متاع الدنيا شيئا البتة . والبتولية وهي الا يتزوج ويصون نفسه عفيفا . ومن مبادىء الرهبانية الصلاة والصوم ومطالعة الكتب المقدسة ، وممارسة بعض الاعمال اليدوية التي تؤول الى تحصيل القوت الجسدي للراهب . وكان مار أفرام صواما قواما ، ذبل جسده ورق نتيجة لتطرفه واغراقه في حياة الزهد ، اذ لم يأكل سوى خبز الشعير والبقول المجففة ، ولم يشرب سوى الماء ، حتى حاكى هيكلا عظميا بل تمثالا من الفخار كما وصفه غريغوريوس النوسي (+٣٩٦)، اما لباسه فكان ثوبا خلقا بل اطمارا بالية[٦٢] .

وقد وصف فلسفته الرهبانية بقصيدة نفيسة جدا خماسية الوزن[٦٣] يخاطب فيها نفسه التي روضها على شظف اصناف التقشف القاسية ، جاء فيها ما ترجمته بتصرف :

ــ كم من مرة جعت ، وكان جسدي بحاجة الى الطعام ، ولكنني امتنعت عن تناوله لكي استحق الطوبى التي سينالها الصائمون .

---

(٥٩) اللؤلؤ المنثور ــ ص ٢٤٧ .

(٦٠) الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ــ جـ ١ ص ٢٥٣

(٦١) سيرة مار ابراهيم القيدوني ــ مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ٢٣٤ خطت في القرن الثالث عشر ونحلت مار افرام . طبعها الاب بولس بيجان في اخبار الشهداء والقديسين مج ٦ ص ٤٩٦ .

(٦٢) تاريخ كنيسة مدينة الله انطاكية ــ جـ١ ص ٢٩١ وسنكسار الروم الكاثوليك . ص ١١٩ . الخاص بشهر كانون الثاني .

(٦٣) اللؤلؤ المنثور ــ ص ٢٤٩ . وعبر في سير المطران اثناسيوس افرام طبعة القامشلي ١٩٦٣ ص ١٠٩ عن Studia Syriaca, PP. 12—13.

ـ عطش جسدي الذي جبل من طين الارض ، ورغب في الماء ليرتوي ، فاهملته ناضبا لكي يستحق ان يذهب ويتلذذ بندى فردوس النعيم .

ـ واذ كان الجسد دائما يكثر مراودتي في فتوتي وشيخوختي فاني كنت أروضه يوما فيوما حتى النهاية .

ـ في صباح كل يوم كنت افكر بانني سأموت مساء وكالرجل المائت لا محالة ، قمت باعباء عملي كل ايام حياتي دون ملل ولا كلل .

ـ وفي مساء كل يوم كنت اتصور اني لا اكون في الوجود صباحا ـ فانتصب بالصلاة والعبادة حتى شروق الشمس وبزوغها .

ـ وعندما سألني الجسد غفوة هو بامس الحاجة اليها استهويته بالطوبى التي منحها الرب للايقاظ .

ـ اقمت من نفسي كنيسة للمسيح ، وفيها قدمت له اتعاب اعضاء جسمي بخورا وعطورا .

ـ قد صار ذهني مذبحا وارادتي كاهنا ، وكمثل حمل لا عيب فيه ضحيت بذاتي قربانا .

ـ قد حملت نيرك يا سيدي منذ فتوتي وحتى شيخوختي وواظبت على عبادتك حتى النهاية جذلان بلا ملال ولا كلال .

ـ تحملت عذاب الجوع منتصرا عليه اذ رأيتك بين اللصين تذوق المرارة لاجل (خلاصي) .

ـ اعتبرت ضيق العطش وكأنه لم يكن ، اذ رأيت سيدي بسبب خطيئتي يمتص الخل من الاسفنجة .

ـ لم اعر للاطعمة اهمية . ونبذت الخمور ، اذ وضعت نصب عيني وليمة ملكوتك ايها الختن السماوي .

هذه كانت طريقة حياة مار افرام كراهب ولم تكن الرهبانية لديه تصوفا وانقطاعا عن العالم وصوما وصلاة فحسب بل كانت ايضا خدمة

للانسانية ووسيلة لحفظ التراث القومي . لذلك جعل من الأديرة مركزا مهما للعلم والمعرفة • حيث ازدهرت العلوم والآداب . واقتداء به أكب تلاميذه الرهبان على الدرس والتحصيل وعكفوا على البحث والتأليف وجاء بعدهم غيرهم من الرهبان والنساك والعباد فنسجوا على منوالهم وطبعوا على غرارهم وخدموا العلم خدمات جليلة بانصبابهم على التصنيف ونسخ الكتب ونشرها وتعليم الاكليروس والشعب . الرهبان والمؤمنين . فتركوا لنا آثارا ادبية قيمة ونفيسة تعج بها مكتبات العالم اليوم وبذلك اسهموا في رقي بلادهم وازدهارها ونشر الحضارة فيها •

وحافظ الرهبان في عهد الأستعمار البيزنطي والفارسي على اللغة السريانية الحبيبة التي اعتزوا بها لأنها لغة مسيحهم ورسله الاطهار وامه الطوباوية مريم وحافظوا عليها كحدقة العين ونشروا المعارف بها • وبفضل الرهبانية والأديرة لا تزال هذه اللغة حية وستبقى ابد الدهر بعون الله تعالى طالما تكلم تلاميذ مار افرام الراهب بها ودبجوا بحروفها مؤلفاتهم حتى اليوم •

الفصل السادس

مار افرام في الرها

كانت الرها اشهر مدن بلاد ما بين النهرين العليا ومركزا للتجارة بين بلاد العرب وآسيا الوسطى[٦٤] وتسمى اليوم اورفا وهي تحت الحكم التركي ٠ ظهرت على مسرح التاريخ كمملكة صغيرة منذ سنة ١٣٢ قبل الميلاد باسم اورهوي وقد بناها الملك سلوقس نيقاطور (٣١١ ـ ٢٨٠ ق٠م) وهو ثاني ملوك اليونان في الشرق[٦٥] وذلك في السنة السادسة من موت الاسكندر[٦٦] وسماها اودسا ٠ وصارت عاصمة مملكة مستقلة اسمها اوسروين[٦٧] وتغلب عليها الرومان نحو سنة ٢٤٤م ، فانتقضت اركان مملكتها[٦٨] ٠

دخلت النصرانية مدينة الرها في صدر القرن الاول للميلاد ٠ على يد مار ادي احد المبشرين السبعين في عهد ملكها ابجر اوكاما كما اثبت اوسابيوس القيصري المؤرخ المسيحي الشهير[٦٩] ومنذ القرن الرابع امتازت ببيعها واديارها وعلمائها[٧٠] ٠ وكانت لغتها سريانية وقد ترجم

---

(٦٤) الدرر النفيسة ص ٧٦ ٠

(٦٥) سيرة مار افرام السرياني للخوري اسحق ارملة ص ٣٠ عن المكتبة الشرقية للعلامة يوسف السمعاني مج ١ ص ٣٩٢ ٠

(٦٦) معجم البلدان ـ لياقوت الحموي ـ طبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧ مج٣ ص ١٠٦ ٠

(٦٧) الموسوعة العربية الميسرة ـ القاهرة ١٩٦٥ ص ١٧٧ ٠

(٦٨) المباحث الجلية ـ ص ٢٩ ٠

(٦٩) مجلة الحكمة سنة ١٩٢٩ وهي السنة الثالثة عدد ١٠ وتاريخ اوسابيوس القيصري ١ : ١٣ والمباحث الجلية ص ٣٢ـ٣٦ والدرر النفيسة ص ٧٦ و ٧٧ ٠

(٧٠) تاريخ المؤرخ الرهاوي بالسريانية طبعة باريس ١٩١٥ ـ ١٩٢٠ جـ١ ص ١٧٩ و جـ٢ ص ١٧٠ ومزيدة العجائب وفريدة الغرائب لعمر بن الوردي (٧٤٩ هـ) في كلامه عن الرها ٠
ودائرة معارف القرن العشرين ـ دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧١ مج ٤ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ٠

الانجيل المقدس قبل اواخر القرن الثاني الى اللغة السريانية باللهجة الرهاوية التي تعتبر افصح اللهجات طرا .

ولا غرو فانها لغة اهالي سورية الاقدمين كانت السريانية ايضا[٧١] .

عندما سلمت نصيبين الى الفرس سنة ٣٦٣ هجرها مار افرام وبرفقته نخبة طيبة من اساتذة مدرستها وتلامذتها وجاء الى بلدة بيت كرماي التي يقال انه كان قد اعتمد فيها في سن الثامنة عشرة ثم مر ايضا بديار بكر . موطن امه ومكث هناك مدة وجيزة[٧٢] وبعدئذ حط الرحال في الرها .

قيل انه عند وصوله الى ضواحيها توقف قليلا على ضفة نهر ديصان المحيط بالمدينة ، وكانت هناك نسوة يغسلن ثيابا ، فرنت اليه احداهن ، فساءه ذلك منها وزجرها قائلا : اخفضي نظرك ايتها المرأة وتطلعي الى الأرض ، فاجابته « لي ان انظر اليك ايها الرجل لأني منك اخذت ، ولك ان تخفض نظرك الى الارض لانك منها جبلت » فاعجب مار افرام بحكمة هذه المرأة وقال « ان كانت هذه حكمة نساء الرها ، فما هي درجة حكمة رجالها يا ترى[٧٣] . وكم كان سرور مار افرام عظيما عندما ارتقى جبل الرها ، والتقى باديرة لا عدد لها وقد غصت بالرهبان ، وصوامع النساك ملأت الجبل المقدس ، فاتخذ له صومعة بقرب مغارة مار يوليان الشيخ الذي يقال انه وشحه بالثوب الرهباني كما ذكرنا آنفا .

ويذكر كاتب سيرته ان يوليان الشيخ رأى مرة رؤيا وكأن جوقة من الملائكة قد اجتمعت وبيد احدهم صحيفة خطت عليها كتابة ـ وسأل هذا

---

(٧١) المباحث الجلية ص ١٥١ و١٥٢ عن القصارى للمطران اقليميس يوسف داود .

(٧٢) المكتبة المختارة لاباء الكنيسة المعاصرين لمجمع نيقية ـ القسم الثاني المجلد ١٣ جـ ٢ ص ١٢٤ وذخيرة الاذهان القس بطرس نصري الموصلي ١٩٠٥ مج١ ص ٩٨ وسيرة مار افرام للخوري أرملة ص ٢٩ .

(٧٣) المكتبة المصتارة لاباء الكنيسة المسيحية القسم الثني مج ٣ حـ٢ ص ١٢٤ عن سوزين المؤرخ ونسخ سيرة مار افرام كافة .
الاداب السريانية لفولوس كبريال جـ١ ص ١٣١ .

الملاك رفاقه قائلا : الى من ينبغي ان اسلم هذه الصحيفة ؟ اجابه احدهم ادفعها الى أوجين الناسك في برية مصر . فقال له الملاك لم يأمرني الرب بهذا ثم كرر السؤال قائلا : اخبروني يا رفاقي من يستحق الحصول على هذه الصحيفة ؟ فذكروا له اسماء بعض النساك الافاضل فقال لهم اخيرا : ان هؤلاء النساك جميعا قد اشتهروا بالتقوى وهم حقا ابرار ، ولكن هذه الصحيفة قد وهبت لمار افرام المقيم في جبل الرها . وعلى اثر هذه الرؤيا قصد مار يوليان الشيخ مار افرام فوجده منهمكا بتفسير الكتاب المقدس فاذاع خبر الرؤيا امام اساتذة مدرسة الرها(٧٤) .

(٧٤) سيرة مار افرام السرياني للخوري ارملة ـ ص ٣٧ و ٣٨ عن بستان الاباء ـ طبعة الاب بولس بيجان ص ١٧٥ .

الفصل السابع

مدرسة الرها

التقى مار افرام عصا الترحال في الرها ، فكان تارة يتنسك في مغارة في جبلها المقدس ، وتارة يتفرغ للتدريس في مدرستها الشهيرة التي كان ادي البشير قد انشأها كما ارتأى بعضهم[٧٥] او ان احد ملوك الرها اسسها في القرن الثاني للميلاد كما ارتأى الآخرون ، وقد تخرج فيها في ذلك القرن برديصان الشاعر الكبير (١٥٤ـ٢٢٢م) ووافا الفيلسوف واسونا العالم[٧٦] وعندما نزل بها مار افرام وصحبه ، جددوها ، فازدهرت على يدهم ــ وعاشت حتى عام ٤٨٩م[٧٧] .

وكان تلامذتها يتلقون دروسا في شرح الكتاب المقدس بعهديه معتمدين بذلك على تفسير مار افرام وهو اقدم من فسر الكتاب عند السريان[٧٨] كما كانوا يأخذون عنه العلوم اللاهوتية لاثبات حقائق الدين المبين ودحض البدع والهرطقات ولا غرو فكتاباته عدت مثالا للتعاليم اللاهوتية في الكنيسة السريانية . ولابد ان مدرسة الرها اهتمت ايضا بتدريس الفلسفة على مذهب ارسطو . والعلوم اللغوية والادبية باللغتين السريانية واليونانية[٧٩] .

فأقبل عليها الطلاب من كل صوب ، وخاصة من بلاد فارس فسميت بمدرسة الفرس نسبة اليهم ذلك ان السريان الغربيين اطلقوا لقب الفرس على

---

٧٥) الروم . جـ١ ص ١٦٢ وذخيرة الاذهان مجـ١ ص ٩٨ والدرر النفيسة مج ١ ص ٥٧٢ عن يوحنا بسابا العربي أسقف حلوان في النصف الثاني من القرن السادس آخذا عن التقليد الشائع .

٧٦) عصر السريان الذهبي ــ ص ٧

٧٧) الاداب السريانية لفولوس وكميل ــ ص ١٣٠ .

٧٨) اللؤلؤ المنثور ص ٦١ و٢٤٥ والطرفة النفيسة في تاريخ الكنيسة المسيحية ــ ص ١٤٣

٧٩) الدرر النفيسة ج ١ ص ٥٧٢

اخوانهم القاطنين في الدولة الساسانية او النازحين عنها[80] وقد سبقت مدرسة الرها سائر مدارس مابين النهرين ، وصارت مركزا مهما للتعليم الديني ومصدرا للاشعاع الروحي في تلك الديار ، وانجبت علماء اعلاما وفلاسفة عظاما يذكرهم التاريخ بالتجلة والاحترام .

وليس بمقدورنا معرفة شيء عن اسلوب الحياة الروحية والاجتماعية في مدرستي نصيبين والرها ـ اذ لم يصل الى ايدينا شيء من القوانين المتبعة فيهما على عهد مار افرام اما القوانين السريانية التي رتبت على الالفباء وجاءت كارشادات للرهبان وقيل ان مار افرام وضعها لمدرسة الرها فيرى النقاد انها ليست له حيث ان تعابيرها السريانية الركيكة تبرهن على انها وضعت بعد مار افرام ونحلت له[81] لتستمد قوة . اما مدرستا نصيبين والرها فكانتا على ما ارى تسيران بقانون العرف المتبع والعادات التي سارت عليها جماعات الرهبان في ذلك العصر وهي عادات موافقة لحياة رئيس المدرسة ومعلميها ونظم رهبانية اخذت بالتقليد .

---

(80) المصدر نفسه ص ٥٢٤ والاداب السريانية لفولوس وكميل جـ١ ص١٣٠

(81) وثائق سريانية وعربية ـ للبروفسور ارثر فوبوس ـ طبعة ستوكهولم ١٩٦٠ ص ١٨ عن مخطوطات باريس السريانية ١٣٦ ـ ٢٤٦ ب .

الفصل الثامن

التيارات الفكرية الدينية الخطرة

التي ظهرت فى المسيحية في قرونها الاولى

على اثر انتشار البشارة الانجيلية في العالم ، ظهرت بين جوانبهـا حركات فكرية دينية غريبة عن روح عقيدتها السمحاء ، ذلك ان بعض المتنصرين من اليهود والوثنيين حاولوا دس سموم خرافاتهم في الايمان المسيحي ، واذ كان بعضهم ممن درس الفلسفة ورسخت قدمه بسائر العلوم المدنية تسكن من بث الشكوك في قلوب البسطاء من المؤمنين ولكن الكنيسة كانت لهم بالمرصاد ففحصت اراءهم واذ وجدتها كفرية بعيدة عن الحق اقصتهم عنها وصانت ابناءها من الانزلاق فى مهاويهم •

ومن جملة المبتدعين الذين كان لمار افرام مع ارائهم شأن خطير طيطيانس ومرقيان وبرديصان وماني واريوس ، ولابد لنا ان نلم بحياة كل واحد منهم ونستعرض باختصار فكره الديني •

١ ــ طيطيانس : ولد وثنيا في بلاد اشور سنة ١١٠م ودرس اليونانية والسريانية وتنصر في رومية ، وتتلمذ لمار يوسطينوس الفيلسوف ثم رجع سنة ١٧٢ الى بلاد ما بين النهرين وعلم بالهين ، اله مخلوق واله خالق • وقال ان جسد السيد المسيح لم يكن حقيقيا ، ثم تبع الانكراتيت الذين يحرمون اللحم والخمر والزواج • ومات حوالي سنة ١٨٠ •

كان طيطيانس اديبا قديرا بقي من مؤلفاته رسالته الى اليونان يدافع بها عن المسيحية ، وكتاب الدياطسرون الذي الفه عام ١٥٢ وهو سبك الاناجيل الاربعة في رواية واحدة • وقد فسره مار افرام • الا ان اصل هذا التفسير السرياني قد فقد وحفظ في ترجمة ارمنية[٨٢] ونقل هذا الإنجيل الى

---

(٨٢) سيرة مار افرام للخوري ارملة ص٣٣ وتاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية جـ١ ص١٠٦ــ١٠٩ عن تاريخ اوسابيوس ٤ : ٢٢ و٢٥ و٥ : ١٣ دائرة المعارف البريطانية .

اليونانية وسمي دياطسرون واستعملته بالسريانية كنيسة الرها واقليم الفرات حتى ابطل استعماله القديس رابولا الرهاوي (+٤٣٥) وقد وصلت الينـا ترجمة عربية قديمة للدياطسرون وطبعت غير مرة •

٢ ــ مرقيون : كان ابن اسقف في بلاد البنطس ، طرده ابوه لفساد سيرته ، فذهب الى رومية[٨٣] حوالي سنة ١٤٠ــ١٥٠ وضل عن جادة الحق • وتمسك بفلسفة زينون ولم يقبل سوى انجيل لوقا وعلم بثلاثة مبادىء الصالح والعادل والمادة التي هي الشر وارتاب في التجسد والآلام الخلاصية والقيامة والمجازاة الابدية وسمح بتكرار المعمودية لمن سقط في الخطية[٨٤] •

وتبعه قوم كثيرون وجد منهم في القرن الرابع بقية غير قليلة •

٣ ــ برديصان : هجر أبوا برديصان الوثنيان نوحاما ونحشيرام وطنهما حدياب (اربيل) الى الرها ، فولد برديصان على ضفة نهر ديصان في ١١ تموز عام ١٥٤ م[٨٥] فسمي ابن ديصان وتربى في قصر معنو الثامن ملك الرها (١٣٩ ــ ١٧٩) وتعلم اليونانية بجانب السريانية وتنصر وهو ابن خمس عشرة سنة وتتلمذ لا بشناسب اسقف الرها فعلمه اصول الدين المسيحي وربما رسمه كاهنا •

هوى برديصان فى بدع مختلفة منها انه قال : بثلاث طبائع كبرى :ــ العقل والقوة والضمير ، واربعة كائنات هي النار والماء والنور والروح ، ومن هذه الكائنات انبثقت كائنات كثيرة تبلغ ٣٣٦ وان الذى كلم موسى والانبياء هو رئيس الملائكة وليس الله وان العذراء لم تلد جسما يموت بل نفسا

---

(٨٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية طبعة باريس ١٨٩٩ ص ١٠٧ و١٠٨

(٨٤) الخريدة النفيسة ــ جـ١ ص ١٦٤ والدرر النفيسة ص ٢٤٠ .

(٨٥) كما ارتاى مؤلف تاريخ الرها وابن العبري . اما مار ميخائيل الكبير فيقول انه ولد سنة ١٦٤ ويقول ايليا النصيبيني انه ولد سنة ١٣٤ (انظر كلدو واثور طبعة بيروت ١٩١٣ مج ٢ ص ٢٠)

نيرة ارتدت جسدا ، وقال ايضا ان الملائكة والكواكب خلقت الأنسان واعطته النفس والكواكب السبعة منحته الاعضاء[٨٦] .

فنصح له اسقف الرها خليفة اوشتاسب بالكف عن اشاعة البدع والأسراف فيها فلم يرعو فحرمه[٨٧] وعاش ٦٨ سنة ومات سنة ٢٢٢م .

يوضع برديصان في الرعيل الاول بين ادباء السريان الاكفاء وشعرائهم المجيدين ، فان قلمه سيال ، ولغته سهلة وسلسة ، وكتاباته البليغة خير برهان على بلوغ الأدب السرياني ذروة المجد في القرن الثاني للميلاد .

وقد نظم مئة وخمسين نشيدا على نسق مزامير داود مزج فيها السم بالدسم ، ولقنها الاحداث فكانوا يترنمون بها ، وهكذا انتشرت ضلالته[٨٨] .

واننا نسجل هنا بسداد الاسف ان التراث الثمين الذي دبجه يراع برديصان القوي قد فقد ، ذلك ان السريان ابغضوا السحر والسحرة وكان برديصان واحدا منهم فاتوا على كتاباته ، ولم يصل منها الى ايدينا سوى كتابه في شرائع البلدان[٨٩] وفيه يعترف باله واحد خالق جميع الاشياء ويظهر ايمانه بالسيد المسيح وينكر القدر ، ويقول بالحرية والدينونة الاخيرة . ولعله كتبه قبل سقوطه بالضلالة أو على رأي اوسابيوس القيصري ان برديصان تاب اخيرا ونبذ اضاليله فان صح هذا الرأي فلعله كتب كتابه المذكور اعلاه بعد توبته .

---

(٨٦) تاريخ مختصر الدول لابن العبري طبعة بيروت ١٩٥٨ ص ١٢٥ ومنارة الاقداس له بالسريانية ركن ٤ ب ٦ ف٣ م٣ .

(٨٧) تاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية طبعة باريس ١٨٩٩ ص ١٢٠ : ٣و ١٢١ : ١

(٨٨) ذخيرة الاذهان مج ١ ص ٥٧ .

(٨٩) طبعة كورتون مع ترجمته الانكليزية سنة ١٨٥٥ وطبعه نو مع ترجمته الفرنسية سنة ١٨٩٩ وترجمه ميركوس الى الالمانية سنة ١٨٦٣ (انظر كلدو واثور ١٩١٣ مج ، ص ٢٠) .
ليوسف رزق الله غنيمة بحث عنوانه (برديصان والبرديصانية) في في المشرق البيروتية .

٤ ـ ماني : كان من بيت لافاط في بلاد فارس ولد على الارجح سنة ٢٤٠ يتيما فربته ارملة غنية وهذبته بكتب زوجها ولما ماتت استأثر بالكتب والاموال • ثم تنصر ورسم قسا ثم سقط في هوة الضلالة واتخذ له اثني عشر تلميذا وارسلهم الى بلاد الشرق باسرها حتى الهند والصين ، وزرعوا فيها علم الثنوية وهو ان للعالم الهين اله الخير وهو معدن النور واله الشروهو معدن الظلمة ، وحرم ماني الزواج وانكر القيامة ، وقال ايضا بالتناسخ • وان السيد المسيح لم يأخذ جسدا ونفسا ولكنه ظهر خيالا • وقد قتل ماني على يد ملك الفرس[٩٠] •

لم يصل الينا من مؤلفاته سوى شذرات بليغة جدا تشهد على مكانته السامية في الأدب السرياني الذى يضعه في مصف برديصان • ومن مؤلفاته الأسرار والفصول والانجيل والكنز وله رسائل اشهرها رسالة الاساس وكلها مفقودة[٩١] •

٥ـ اريوس : كان قسيسا في كنيسة الاسكندرية اعتقد بان الابن ليس إلهاً بل خلقه الله في أول خلائقه[٩٢] وهو اصغر من الاب وسلطانه منبثق منه واخذ يبث هذه العقيدة الشنعاء في كافة ارجاء الامبراطورية الرومانية حتى فندها المجمع النيقاوى المسكوني الاول عام ٣٢٥ وحرمه واياها ورتب الجزء الاول من دستور الايمان المسيحي المبني على اساس الكتاب المقدس ويبتدىء بعبارة « نؤمن باله واحد » وينتهي بعبارة « ونؤمن بالروح القدس »[٩٣] •

---

(٩٠) تاريخ مختصر الدول للعلامة ابن العبري ص ٧٦ و٧٧ و١٢٩ و ١٣٠ ومنارة الاقداس له بالسريانية ركن ٤ باب ٦ فصل ٣ مقصد ٣ وتاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية ص ١١٧ ـ ١١٩ وتاريخ الكنيسة الانطاكية جـ١ ص ١٥٣ .

(٩١) تاريخ كلدو واثور ـ ص ٢٢ عن قاموس اللاهوت ـ انظر ايضا فهرست ابن النديم طبعة مكتبة خياط ببيروت بالاوفست عن طبعة الدكتور اوكيستميلر عام ١٨٧٢ ص ١٢٧ ـ ١٣٧ .

(٩٢) منارة الاقداس لابن العبري بالسريانية ر٤ ب٦ ف٣ م٣ .

(٩٣) في سرى التجسد والفداء للمؤلف طبعة حمص ١٩٥٩ ص ٦و٧

الفصل التاسع

الفكر الديني لدى مار افرام

تربى مار افرام في بيت مسيحي عبقت الفضيلة رائحتـه ، وفـاح عطـر الايمان في جوانبه • وقد تتلمذ لمار يعقوب اسقف نصيبين وعلى يديه تدرج في مبادىء العقيدة وتعمق في اصول العلم الديني وفروعه • وان حضوره مجمع نيقية (٣٢٥م) بصحبة مار يعقوب اسقف نصيبين ، كان خير فرصة له للتعرف على رجالات الكنيسة والاقتداء بهم في التمسك بالايمان القويم بعـروة وثقى • فالفكر الديني لديه اذن هو وليد ترعرعه في احضان الكنيسة • وقـد رسخ الايمان النيقاوي في دماغه فرأى في المبتدعين اعداء للديـن فناهضهم ودحض تعاليمهم رافضا اياها رفض النواة ، ورأى في الاباء القديسين مناصرين للايمان ومحافظين على العقيدة فمدحهم واطرى جهادهم واقتدى بهم ودعـا الى التمثل بسيرتهم والنسج على منوالهم • وكان كل ذلك عاملا اساسا لتكوين الفكر الديني لديه ، ويضاف الى ذلك تعمقه في علم اللاهوت وسبره غـور الكتاب المقدس ، وتبحره في تفسيره وشرح حوادثه واياته وبنواته مستندا بهذا ايضا الى مصنفات تلامذة الرسل واباء الكنيسة من العهد الرسولي حتى مجمع نيقية كما انه اجاد اللغة السريانية التي يعد علافيها الاوحد نثـرا وشعرا[٩٤] وصار « مستعدا دائمـا للاحتجاج ولاجابة كل من يسـأله عـن سبب الرجاء الذي فيه » (١بطـ٣ : ١٥) •

وهكذا صان جوهرة الايمان صافية براقة لا تشوبها شائبة • وشرع يناهض البدع ويقارع اتباعها الذيـن انتشروا في الرها • حتى وصفه يوحنا الذهبي الفم (+٤٠٧) قائلا : « كان على الهراطقة كسيف ذي حـدين »

---

(٩٤) قد اثبت السيد يوسف سمعان السمعاني في ترجمة مار افرام التي نشرها في المجلد الاول من المكتبة الشرقية صفحة ٥٥ ان مار افرام كان يعرف من اللغات العبرانية واليونانية والمصرية بجانب لغته السريانية التي هو أمامها (انظر ايضا تاريخ سورية للدبس جـ ٢ م ٤ ص ٢١١) .

يدفعه في كل ذلك محبته للايمان وتمسكه بالعقيدة ، فهو يشبه الايمان بالجوهرة النفسية ويقول في احد ميامره مانعرب فيما يلي اجزاء منه بتصرف:ـ

يا اخوتي ، انني تناولت ذات يوم جوهرة ، ابصرت فيها اسرارا ، اعني بها اهل الملكوت الذين هم عبارة عن صور تلك العظمة واشكالها وصارت لي ينبوعا ، شربت منه اسرار الابن •

قد كانت لي تلك الجوهرة بمثابة قراءة الاسفار وتفاسيرها ، كالمن الذي قام وحده مقام الأطعمة للشعب (في العهد القديم) بطعومه المختلفة •

ولو شئت ان اسألها هل لديها من اسرار اخرى • لم يكن لها فم لاسمع منها (الجواب) ولا آذان لتنصت الي ، فيا لها من جوهرة لا حواس لها اكسبتني شعورا جديدا •

فاجابتني قائلة : انا درة اليم الذي لا يحد ، وكنز البحر الذي خرجت منه هو اعظم من الرموز التي في ، ففتش عن البحر ولكن لا تفحص عن سيده •

رأيت الغواصين الذين جدّوا في طلبي ، يعودون من البحر الى اليابسة حيارى ، ولم يحتملوا هنيهة قصيرة • ومن ذا الذي يمكث ليفحص غور الاله ؟

ايتها الجوهرة بك مثل الملكوت ، والبتولات الخمس اللواتي دخلن (العرس) ومصابيحهن نيرة[٩٥] وبك تشبهت القديسات ايتها المتسربلة بالنور •

وقد دحض مار افرام تعاليم طيطيانس ومرقيون وبرديصان وماني دون ان يلجأ الى البرهان المنطقي ومقارعة الحجة بالحجة ، بل كان باناشيده واشعاره يثبت الايمان في قلوب الشعب ويبعدهم عن مواطن الضلالة • حيث انه « ألف ما الف للشعب والرهبان فلم يتعمق في النظريات اللاهوتية ، غير

---

(٩٥) اشارة الى مثل السيد المسيح الذي ضربه عن العذارى الحكيمات والجاهلات . انظر انجيل متى ص ٢٥ : ١ ـ ١٣ .

انه القى في عظاته الادبية من شباة الحمية ونار الحماسة ما بلغ بها كنه القلوب[٩٦] فنسمعه فى أحد أناشيده يقول : « ان الشيطان أضل مرقيان وأصابه بالجنون فاحتقر صانعه واستصغر خالقه ، ولبس الشيطان ماني كثوب نطق من داخله ، ومنح برديصان مخزنا مليئا بالزوان فاخفى فيه الحنطة وخنقها ،

ان كلام برديصان يظهر للناس كأنه نقي ولكنه يبطن التجديف ، اما مرقيان فهو كالزانية الوقحة ، لقد نقيأ ماني كالتنين واخرج المرارة لابنائه ، وتشبث وتلاميذه بنسيج العنكبوت[٩٧] » ،

وحيث ان تعاليم برديصان الوخيمة كانت قد انتشرت انتشارا واسعا في الرها ، وكان تلاميذه وخاصة ابنه هرمونيوس ينظمون اناشيد مليئة بالخرافات لاتقل ضلالتها عن ضلالة اناشيد برديصان نفسه ، لذلك حاربهم مار افرام بسلاحهم اذ هو الآخر أخذ ينظم أناشيد على أوزان منظومات برديصان[٩٨] ولقنها الفتيان والفتيات قرّع فيها برديصان وكشف النقاب عن هرطقته ، وهكذا رسخت اناشيد مار افرام في قلوب الشبيبة فرتلوها في الكنيسة والدور والاسواق ، وخزي اتباع برديصان وساؤوا مصيرا ،

وكان مار افرام بالمرصاد لكل من تسوّل له نفسه محاربة الكنيسة ، فهذا الامبراطور يوليانس الجاحد (٣٦١ ـ ٣٦٣) الذي ما ان اعتلى دست الحكم الا وكفر بالدين المسيحي واعتنق الوثنية وعزم على ملاشاة النصرانية على زعمه فاضطهد اتباعها[٩٩] ، يشهره ما رافرام على رؤوس الاشهاد ويحذر الناس من طغيانه ويشبهه بذئب خاطف جاء بثياب الحملان وحاول افتراس الرعية الآمنة[١٠٠] ،

---

(٩٦) اللؤلؤ المنثور ص ٢٥١ و ٢٥٢ عن تيكسورن في مختصر البترولوجيا ص ٢٩٧ ،

(٩٧) مداريش مار أفرام ـ لوفان ١٩٥٧ ١٦٩ ص ٣ ،

(٩٨) المكتبة الشرقية ليوسف شمعون السمعاني باللاتينية ٢٤ : ١٦٤ وسيرة الشهداء بالسريانية طبعها بيجان سنة ١٨٩٠ (٣ : ٦٢١) وذخيرة الاذهان مج ١ ص ٩٩ ،

(٩٩) الدرر النفيسة ـ ص ٥٠٥ و ٥٠٩ ،

(١٠٠) مداريش مار أفرام مج ١٧٤ ص ٧٥ أنظر أيضا سيرة مار أفرام ـ للخوري اسحق ارملة ص ٤٨ ـ ٥١ ،

الفصل العاشر

مار افرام يزور مصر

جاء في سيرة مار افرام انه تاق الى زيارة مصر موطن النسك والزهد والتقشف والى لقاء مشاهير النساك المصريين وخاصة الانبا بشواي وكان في شوقه هذا مدفوعا من قبل قوة خارقة للطبيعة .

وكان الانبا بشواي قد اشتهر في ذلك الزمان بأعمال النسك ، وتلخص سيرته بمايلي : انه ولد سنة ٣٢٠م في بلدة شنشا من أعمال مصر ، وظهر ملاك الرب في رؤيا لوالدته طالبا منها أحد أبنائها السبعة فأجابته خذ من تريد فأمسك بالفتى بشواي وكان نحيف الجسم فقالت له : يا سيدي خذ واحدا قويا ، فأجابها هذا هو الذي اختاره الرب[١٠١] وترهب في الاسقيط[١٠٢] على يد الانبا بموا تلميذ القديس مكاريوس المصري ومعلم الانبا يوحنا القصير[١٠٣] وتمرس بأقسى أعمال الزهد وكان مغاليا جدا في التعبد حتى قيل انه كان يربط شعر رأسه في بروز في صخرة لكي يظل منتصبا ومستمرا في الصلاة ولا يتغلب عليه النوم نتيجة الاجهاد[١٠٤] وقد اتخذ له مغارة هناك وتجمع حوله عدد من النساك وشيدوا لهم القلالي فألبسهم الثوب الرهباني وبنى لهم كنيسة وكان ذلك على الأغلب في المدة الواقعة بين سنة ٣٧٥ وسنة ٣٨٥[١٠٥] ورقد بالرب

---

(١٠١) موجز تاريخ المسيحية ـ يسطس الدويري ـ القاهرة ١٩٤٩ مج ١ ص ٢١٨ .

(١٠٢) الاسقيط كلمة يونانية معناها منسك أو مكان العبادة اطلقت على وادي النطرون الواقع غرب الدلتا على امتداد مديرية التحرير في مصر .

(١٠٣) دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية ـ للدكتور حكيم امين ـ القاهرة ١٩٦٣ ص ٧٣ عن مخطوط في يوحنا القصير ـ ميمر الانبا بيشواي ورقة ٤٢ ب .

(١٠٤) اديرة وادي النطرون ـ دكتور منير شكري ـ الاسكندرية ١٩٦٢ ص ٥٧

(١٠٥) دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية ـ الدكتور حكيم امين ص ٧٥ والاديرة المصرية العامرة ـ القمص صموئيل تاوضروس السرياني . مصر ١٩٦٨ ص ١٢١ عن دليل المتحف القبطي الجزء الثاني ص ٨٩ الذي يذكر ان دير الانبا بشواي بناه أتباعه في القرن الرابع .

سنة ٤١٧م وهو يعد بين قادة رهبان الجماعات المشــهورين كمكسيموس ودوماديوس وارسانيوس وموسى الأسود . ومما يحكى عنه انه عندما التقى بمار افرام ولم يكن احدهما يعرف لغة الآخر ، صليا معا ، فألهم الانبا بشواي السريانية وألهم مار افرام القبطية[١٠٦] ومكث مار افرام بضيافة الانبا بشواي مدة اسبوع ثم غادره[١٠٧] .

ويرى بعض النقاد ان زيارة مار افرام السرياني للانبا بشواي ولمصر لا أصل لها من الصحة[١٠٨] .

---

(١٠٦) سيرة مار أفرام ــ للخوري ارملة ــ ص ٥٦ .

(١٠٧) اديرة وادي النطرون ــ دكتور منير شكري ــ الاسكندرية ١٩٦٢ ص ٥٨ وســيرة مار أفرام للخوري اســحق ارملــة ــ ص ٥٨ عــن رحلة الاب ميشيل جوليان اليسوعي الى الصعيد عام ١٨٨٢ ص ٣٠ عدد ١٠ ومجلة المشرق ٢٣ : ٩٩٢٥ : ٥٨٢ .

(١٠٨) الاديرة المصرية العامرة ــ الاب القمص صموئيل تاوضروس السرياني ــ مصر ١٩٦٨ ص ١٤٢ ــ وتاريخ كلدو واثور ــ للمطران ادي شير ج ٢ ص ٤٨ .

الفصل الحادى عشر

مار افرام يزور مار باسيليوس اسقف قيصرية قبدوقية

وجاء في سيرة مار افرام أيضا انه بينما كان نائما رأى في حلم باسيليوس بشبه عمود ناري ممتد من الارض الى السماء فتاق الى رؤيته بالجسد . لذلك بعد الانتهاء من زيارته لمصر واجتماعه الى الانبا بشواي ركب البحر من الاسكندرية واتجه وتلميذه الى قيصرية قبدوقية فوصلا اليها ليلة عيد الدنح ٦ كانون الثاني وحضرا القداس صباح العيد متخفيين ، وشاهدا القديس باسيليوس متشحا بحلته الحبروية الفاخرة فساورت مار افرام الشكوك اذ لم يتمكن ان يوفق ما بين الرؤيا التي شاهدها ، حيث قد راى مار باسيليوس كعمود ناري ، وبين المنظر الذي يراه في الكنيسة حيث وجده يتشح بالثياب الناعمة الفاخرة المزركشة وبيده عكاز من فضة مطلي بالذهب .

وعندما انبرى باسيليوس يعظ الشعب رأى افرام بعين الروح حمامة واقفة على كتفه اليمنى ، كما ان باسيليوس علم بالروح وجود مار افرام في الكنيسة فارسل يستدعيه وتبادلا عبارات المجاملة وعاتب الاسقف ضيفه لانه لم يحسن الظن من أول الامر في نسكه وأراه المسوح التي كان يرتديها في الداخل(١٠٩) .

ورغب مار باسيليوس في ان يرقي مار افرام الى رتبة الكهنوت فاعتذر تواضعا ، فرقي تلميذه . وكانا يتخاطبان بوساطة ترجمان فدعا احدهما الآخر للصلاة لكي ينعم الرب عليهما بموهبة الرسل فاستجاب الرب لهما وتكلم احدهما بلغة الآخر(١١٠) ثم عاد مار افرام وتلميذه الى الرها .

وكان باسيليوس من مشاهير رجالات الكنيسة فقد ولد نحو سنة ٣٢٩ في قيصارية قبادوقية ودرس الفلسفة في القسطنطينية وأثينا ، وتعلم الخطابة في

---

(١٠٩) الخريدة النفيسة ــ جـ ١ ص ٢٥٧ و ٢٧٦ .

(١١٠) المصدر السابق .

انطاكية وسنة ٣٥٦ تعمد وسنة ٣٥٨ هجر العالم ورحل الى مصر وفلسطين والجزيرة ، وأخذ طريقة النسك عن أشهر النساك فيها • فترهب ثم انشأ ديرا على ضفة نهر ايريس ، وجمع حوله النساك والف لهم قوانين وسيم قسا عام ٣٦٢ فمطرانا لقيصرية قبدوقية سنة ٣٧٠ واهتم بتعليم شعبه وتخفيف وطأة شقائه وباعالة الفقراء والعجز مؤسسا لهم ملاجيء وناهض البدعة الاريوسية وانتقل الى جوار ربه سنة ٣٧٩ وترك خطبا تظهر بلاغتها في سهولة فهمها • وله كتب لاهوتية عديدة ومقالات نسكية وتفاسير[111] • ويستبعد بعض الناقدين زيارة مار افرام لمار باسيليوس •

---

(111) عن الدرر النفيسة ص ٥٢٩ ــ ٥٣١ وتاريخ سورية للدبس جـ ٢ مج ٤ ص ٢٢١ عن سقراط ك ٤ ف ٢٦ وسوزيموس ك ٦ ف ١٦ وما يليه وايرونيوس كتاب المشاهير ف ١١٦ انظر ايضا تاريخ كنيسة مدينة الله انطاكية ــ جـ ١ ص ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٤٨ .

الفصل الثاني عشر

مار افرام أول مؤلف جوقة من الفتيات السريانيات

بدأت الطقوس البيعية فى فجر النصرانية ادعية تتلى ومزامير ترنم فى اجتماعات المؤمنين للصلاة وتقديم القربان المقدس .

واهتم مار افرام بالحياة الطقسية في الكنيسة السريانية اذ ادخل اليها اناشيده المنظومة الموقعة على الحان خاصة[112] كما ألف جوقة صالحة مختارة من فتيات الرها اللواتي علمهن ما ابتكره أو ما اقتبسه من الانغام الموسيقية وما نظمه من القصائد الروحية البديعة والتراتيل الشجية التي ضمنها العقائد الدينية وصورة الأيمان المستقيم وهكذا ناهض الهراطقة . « وكان افرام البطل الشجاع ينتصب وسط صفوف الفتيات انتصاب الشيخ الوقور ، وينشد ما سبق فنظمه بيتا بيتا وهن يرددن « اللازمة » وينصتن لما يقول ويطبعنه في أذهانهن ويتغنين به في بيوتهن ويلقنه الاطفال مع الحليب في مهودهم[113] نسمعه في أحد اناشيده يناجي اولئك العذارى ليفرحن في مديح العذراء مريم فيقول :

« ابتهجن أيتها العذارى بالعذراء المملوءة عجبا فقد ولدت الجبار الذي قيد الشيطان وسجنه ، لئلا يغرر بالشابات » .

وقد صارت أناشيده وأشعاره جزءا من صلب الطقس السرياني في حياته ، ولاتزال الكنيسة السريانية بفروعها تترنم بها صباح مساء . « ولا نجد في فروض هذه الكنيسة أثرا أقدم من آثار مار افرام معروفا مؤلفه الا ميمرين من وضع القديس الشهيد شمعون ابن الصباغين (+ ٣٤١) مثبتين في فروض الكلدان »[114] .

---

(١١٢) اللؤلؤ المنثور ص ٦٨ و ٦٩ .

(١١٣) سيرة مار افرام السرياني للخوري اسحق ارملة ص ٥٤ .

(١١٤) موجز علم الليتورجيا ــ للخوري ميشال بريدي ــ بيروت ١٩٦٦ ص ٢٦٧ عن النبذة التاريخية في الفروض البيعية للمطران يوسف الدبس في مقدمة طبعته الاشحيم في بيروت سنة ١٨٩٠ ص ١٦ ــ ١٧ ؛ انظر أيضا تاريخ كلدو وآثور مج ٢ ص ٦٩ و ٧٠ .

لاشك في أن مار افرام بتأليفه جوقات المرتلات من البنات ، قد رفع من مقام المرأة وبرهن عمليا على ان امر الرسول بولس في رسالته الأولى الى أهل قورنثية (١٤ : ٣٤) حيث يقول « لتصمت نساؤكم في الكنائس لانه ليس مأذونا لهن ان يتكلمن » قد برهن على ان هذا الامر كان تنظيما موقتا ليس الا وان هذه الصيغة من الطلب تخص اللواتي دأبن على اللغو والهرف بما لا يجدي في الوقت الذي يكون الجميع أمام العزة الالهية مصلين قانتين خاشعين • وان المرأة كالرجل لها الحق في تسبيح الله في الصلاة الجمهورية . فالرسول ساوى بينهما في نفس رسالته ص ١١ : ١١ فيقول : « غير ان الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب » •

فالى مار افرام يعود الفضل في تنظيم الحياة الطقسية في الكنيسة السريانية وبتأليف الجوقات الكنسية التي تشنف اليوم آذان المؤمنين في البيع وترفع افكارهم الى السماء وتخلق في نفوسهم الخشوع فيسكبون ذواتهم بالتوبة امام الرب ، ويسجدون لله تعالى بالروح والحق •

الفصل الثالث عشر

مار افرام والجوع في الرها

كانت المجاعات تكثر خاصة على اثر الحروب والغزوات وفي سني القحط حيث تنحبس الامطار فتبخل السماء بها على الأرض ، وهذه تمسك عن الانسان بغلتها وخيراتها ، وقد حدث ذلك في الرها في شتاء سنة ٣٧٢ ــ ٣٧٣م فعم الغلاء الفاحش ، ومات عدد غير يسير ، من اهلها ، جوعا •

وحيث ان من أهم القيم الروحية التي أمر بها السيد المسيح اتباعه هي ممارسة اعمال الرحمة ، حيث قال « اريد رحمة لا ذبيحة » (متى ٩ : ١٣) « وطوبى للرحماء لانهم يرحمون » (متى ٥ : ١٧) « واذا كانت هذه الوصية قد اوجبت على المؤمن فهي أكثر الزاما على الراهب الذي بذل نفسه بسخاء لخدمة الله وأبناء البشرية المحتاجين الى الرحمة والذين يدعوهم السيد المسيح (اخوته) قائلا : «كل ما فعلتم بأحد اخوتي هؤلاء الاصاغر فبي فعلتموه» (متى ٢٥ : ٤٠) لذلك رأينا مار افرام يطوف دور الاغنياء في الرها ويحثهم على أعمال الرحمة ويجمع منهم الصدقات[١١٥] ويوزعها على الفقراء • وأسس دورا جمع فيها ثلاثمائة سرير وقيل بل ألف، وثلاثمائة سرير صارت ملجأ للعجزة ، وكان يشرف بنفسه على الاعتناء بهم[١١٦] وعلى اثر الجوع انتشر وباء الطاعون ، فانبرى مار افرام في تطبيب المرضى ومواساتهم حتى اصيب بدوره بداء الطاعون[١١٧] واحتمل صابرا آلامه المبرحة ، وفاضت روحه الطاهرة في ٩ حزيران عام ٣٧٣م[١١٨] وترأس صلاة الجناز على جثمانه مار بورسا اسقف الرها (٣٦١ ــ

---

(١١٥) الخريدة النفيسة ج ١ ص ٢٥٥ وذخيرة الاذهان مج ١ ص ٩٨ .

(١١٦) سيرة مار افرام للخوري اسحق ارملة ص ٧١ عن سيرة الاباء القديسين طبع الموصل ١ : ٩١ .

(١١٧) الآداب السريانية لفولوس كبريال وكميل البستاني ج١ ص١٣١ .

(١١٨) اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٥ والدرر النفيسة ص ٥٢٤ كما ورد ذلك في خلاصة أخبار الرها . انظر ايضا المكتبة الشرقية للسمعاني والآداب السريانية لروبنس دوفال ص ٣٢٩ وقد ارتأى بعضهم ان الوفاة جرت في ١٨ حزيران ٣٧٣ .

٣٧٨) واشترك بذلك عدد وافر من الكهنة والرهبان وشعب الرهــا المؤمن • ودفن في مقبرة الغربــاء في ظاهر مدينة الرهــا ، بناء على وصيته ، وبني على ضريحه دير عرف بالدير السفلي[١١٩] ثم نقل جثمانه الطاهر الى مقبرة الاساقفة في كنيسة الرها الكبرى • وقيل انه نقل عام ١١٤٥ م الى اوربا مع ذخائر بعض القديسين[١٢٠] وتعيد له الكنيسة السريانية الارثوذكسية في السبت الاول من الصوم الكبير[١٢١] وتقيم الكنيسة الكلدانية تذكاره في جمعه اسبوع باعوث نينوى ، والكنيسة المارونية في ٢٨ كانون الثاني وكذلك الكنيسة الرومية الملكية • اما الكنيسة الارمنية ففي السبت الاول من كانون الثاني • وقد اعلن البابا بندكتس الخامس عشر (١٩١٤ ــ ١٩٢٣) مار افرام السرياني شماس الرها ملفانا في الكنيسة الكاثوليكية شرقا وغربا وقرر ان يقام تذكاره فيها في ١٨ حزيران على توالي الاجيال[١٢٢] فأنعم به من قرار لئن جاء وأعلن بعد أجيال فله دلالته على ادراك ما لهذا الملفان من خلود الذكر في العــلوم والآداب واللاهوت ليس على العالم الشرقي وحسب وانما له خلود في آثاره وتأثيراته على الفكر الانساني عامة والمسيحي خاصة في الغرب أيضا •

---

(١١٩) اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٥ .

(١٢٠) الآداب الســريانية لفولوس كبربال وكمبــل آفرام البســتاني ج ١ ص ١٣٢ وسيرة مار افرام للخوري اسحق ارملة ص ٨٠ و ٨١ والحروب الصليبية في الآثار السريانية له ص ٩٧ ــ ١٠٧ .

(١٢١) اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٥ .

(١٢٢) سيرة مار افرام للخوري اسحق ارملة ص ٨٠ و ١٠٦ و ١٠٣ و ١١١ و ١١٥ و ١٣٥ .

الفصل الرابع عشر

وصية مار افرام

في الساعات الاخيرة من حياته المجيدة ، وفي لحظات احتضاره الرهيبة ، أملى على تلاميذه وصيته الاخيرة شعرا[١٢٣] فاهتموا بتدوينها حالا ، وقد ترجمت الى اليونانية بعد وفاته بمدة وجيزة واستشهد بها القديس غريغوريوس النوسي (+ ٣٩٥) خمس مرات في تقريضه اياه[١٢٤] • وقد اعترف مار افرام بوصيته هذه بايمانه وبيّن تمسكه بالعقيدة المسيحية وحث تلاميذه على التشبه به • وجاء فيها ما تعريبه بتصرف : أنا افرام مائت لا محالة وادوّن وصيتي هذه لتبقى من بعدي ذكرا لكل انسان • الويل لي فان أيام حياتي قد اوشكت على الانتهاء • لقد نفد الزيت في السراج ، وقرب يوم الموت ، ان الاجير قضى ساعة عمله ، ودنا موعد رحيل الغريب وأوبته الى وطنه •

ويلك يا افرام من يوم الدينونة حيث انك ستقف أمام منبر الابن ويحتاط بك من عرفك (في العالم السابق) • فتذوب خجلا • أسألك يا يسوع الا تدع سواك يدين افرام • لان من كان ديّانه الله لابد ان ينعم عليه بالرحمة •

هلم ياتلاميذي واغمضوا أجفاني فأنا مائت لا محالة • أي تلاميذي : اتخذوا مني مثالا لكم : انني لم اشتم ولم اخاصم أحدا البتة ، ولكني كنت على نزاع دائم مستمر مع الكفرة ، ذلك ان الحكيم لا يبغض احدا ، وان أبغض فانما يبغض الجاهل • أما الجاهل فلا يحب أحدا أبدا ، وان أحب فانه يحب رفيقه الجاهل • انني لم ارتب بالعقيدة ولم اشكك بحقائق الايمان • لم أملك كيسا ولا مزودا ولا عصا اتماما لوصية الرب •

---

(١٢٣) نشرها الاب بولس بيجان في باريس سنة ١٩٠١ ص ٦٨١ ـ ٦٩٦ .

(١٢٤) المكتبة المختارة لمصنفات آباء نيقية ـ بالانكليزية ـ القسم الثاني الجزء ١٣ ص ١٣٧ ـ ويظن بعض النقاد ان الوصية ليست من وضع مار افرام ويقول آخرون وهم أكثر انصافا ان بعض أجزاء الصيغة الاصلية قد شوه بزيادات دسها النساخ جهلا .

اقرئوني السلام يا اخوتي وسامحوني لارحل عنكم (مطبق الباب) . اذكروني بصلواتكم وطلباتكم ... استحلفكم يا ابناء الرها قسماً لا حل فيه ، ان لا تحيدوا عن وصاياي ولا تبطلوا شرائعي . لا تدفنوا جسدي تحت المذبح ولا في الهيكل ، ولا مع الشهداء . لا يضع احدكم على جسدي ثوباً فاخراً بل واروا جسدي التراب بثوبي وقباعتي[125] وذلك في مقبرة الغرباء لانني غريب نظيرهم وكل طير يأوي الى شكله .

لا يجدر البكاء على الصالحين عند رقادهم لانهم يرثون الحياة الابدية حال دخول أجسادهم غيابة القبر ، انما يليق بكم أيها الاخوة ان تسكبوا الدموع على امثالي ممن بدد أيام حياته بالاباطيل .

استودعك السلام أيتها الارض ، ولتحل النعمة على سكانك . صلاتي الى الله أن يتوب الخطاة وينال التائبون برارة .

هلم بسلام ياملاك الموت يامن تفصل النفس عن الجسد ، هلم افصلهما عن بعضهما حتى يحين موعد البعث » .

---

(١٢٥) القبّاعة شائعة لدى رجال الدين المسيحي والمسيحيين عامة وهي تحريف للقبّعة قماشة تخاط لرأس الرهبان والزهاد العبّاد غالبا .

الفصل الخامس عشر

آثار مار افرام

أدرك مار افرام اللغة السريانية نقية صافية خالية من العجمة وسائر الشوائب ، وغنية واسعة وأداة طيعة في التعبير عن مختلف الاهداف الفكرية وشتى الأغراض الكلامية فكتب فيها تفاسيره نظما ونثرا ودبج روائعه وبدائعه التي صارت مفخرة الادب السرياني وكان له القدح المعلى في تقدم مدرستي نصيبين والرها السريانيتين حيث وجدت لها اللغة السريانية مرتعا خصبا فنست وازدهرت •

مؤلفاته النثرية

تناول مار افرام الكتاب المقدس بعهديه شرحا وتفسيرا ، وقد اعتمد الترجمة البسيطة ، ولكثرة شروحه صرح بعضهم انه « لو نفدت ترجمة الكتاب المقدس السريانية الاصلية لتيسر جمع نصوصها من تصانيف مار افرام »(١٢٦) ويعد في مقدمة من فسر الكتاب لدى السريان • واتبع بالتفسير طريقة مدرسة انطاكيا بشرح النص آية آية بالمعنى الحرفي بمفهوميه الحقيقي والمجازي ، خلافا لمدرسة الاسكندرية بمصر التي كانت تتبع التأويل والاسلوب الصوفي الرمزي(١٢٧) •

ولم يبق من تفاسيره للكتاب سوى شرح سفر التكوين وجزء من سفر الخروج (١٢٨) وشذور متفرقة

---

(١٢٦) سيرة مار افرام للخوري اسحق ارملة ـ ص ١٧٤ .

(١٢٧) النشرة السريانية الكاثوليكية الحلبية لسنة ١٩٧٣ ص ٣٠٤ و ٣٠٥ .

(١٢٨) مخطوط من القرن السابع للميلاد في الخزانة الفاتيكانية رقم ١١٥ وكذلك في برمنكهام رقم ١٤٧ وخزانة بطريركية السريان الارثوذكس في دمشق .

من اســفار العهــد القــديم [١٢٩] نجــدها في مجموعــة الراهب سويريوس (+ ٨٦١)[١٣٠] •

أما تفسيره للانجيل المختلط المعروف بالدياطسرون الذي وضعه طيطيانس عام ١٧٠م فلم يصل الى ايدينا منه سوى ترجمته الارمنية[١٣١] كما لم يبق من تفاسيره لرسائل الرسول بولس سوى آيات يسيرة ضمن تفسير الانجيـل ليشوعداد المروزي أسقف الحديثة النسطوري (٨٤٠ ـ ٨٥٣)[١٣٢] •

وله مواعظ هي شروح لفصول من الكتاب المقدس ، وله أيضا مقالات في محبة العلي ، وفصول مختارة من كتاب وسم بكتاب الآراء وهو في حيـاة النسك والرهبنة[١٣٣] • وأرسل خطابين الاول الى دمنوس في نقض الهراطقة • والثاني الى هيباتيوس ردا على مرقيون وبرديصان وماني • ورسالة بعث بها الى الرهبان ساكني الجبال[١٣٤] •

---

(١٢٩) نشر الاب بطرس مبارك عام ١٧٣٧ و ١٧٤٠ شــروح أســفار التكوين والقضـاة وصموئيل والملوك في ٥٦٧ صفحة وشروح سفر ايوب والانبياء الكبار والصغار في ٣١٢ صفحة (انظر سيرة مار افرام للخوري اسحق ارملة ص ١٧٨ وكتاب المرجانة لعبد يشـوع الصوباوي (+ ١٣١٨) ص ٦٩ .

(١٣٠) هو أحد رهبان دير الشهيدة بربارة في جبل الرها . عاش في القـرن التاسع للميلاد وجمع موسوعة مسهبة من تفاسير الكتاب المقدس بلغت زهاء عشرة آلاف نبذة لاشهر مفسري الكتاب المقدس من آباء الكنيسة من جملتهم مار افرام ـ حفظت نسختان منها في المتحف البريطـاني ومتحف الفاتيكان (انظر اللؤلؤ المنثور ص ٤٢٩) .

(١٣١) تولى نشر الدياطسرون منذ سنة ١٨٩٣ الرهبان الارمن في مطبعتهـم الشهيرة في البندقية ـ ايطاليا . وجمع هيل وروبنصون بعض مقاطع من شروح الدياطسرون ونقلاها الى الانكليزية سنة ١٨٩٥ .

(١٣٢) نقل ميز نجر سنة ١٨٧٦ الى اللاتينية النص الارمني لشرح رسائل بولس الرسول . كما نقله الاباء المخطاريست الى اللاتينية في فينا سنة ١٨٩٣ .

(١٣٣) مكتبة لندن تحت رقم ٥٨٧ مخطوط نسخ عام ٨٧٦م .

(١٣٤) خزانة لندن تحت رقم ٧٨١ وقد ذكرها رايت في الفهرست ص ٧٦٦ .

ومجموعة قوانين في الرهبنة فقد أصلها السرياني وحفظ النقل اليوناني أورد ذكرها غريغوريوس النوسي (+ ٣٩٥) ولم يبق من القصص التي ألفها سوى قصة بطرس الرسول[١٣٥] .

ولاهمية مؤلفات مار افرام ترجمت الى اليونانية في حياته أو في العقد الاول بعد وفاته ، كما نقلت بعدئذ الى لغات شتى نخص بالذكر منها لغة الضاد فقد نقل اليها ابراهيم بن يوحنا الانطاكي سنة ٩٨٠م عددا من مقالاته في الرهبنة[١٣٦] كما وصل الينا بها أيضا احدى وخمسون مقالة نقلت من اليونانية اليها حوالي القرن الحادي عشر نقلا فيه الجيد وفيه الملحون واصلها السرياني مفقودا[١٣٧] .

وقد نسب اليه كتاب وسم « مغار الكنوز » وهو قصة آدم وحواء بعد ان طردا من الجنة[١٣٨] .

كما وضع عليه خطأ عظة في نهاية العالم ورد فيها ذكر غزوة الهون التي حصلت في تموز سنة ٣٩٦ أي بعد وفاته بثلاث وعشرين سنة . وكذلك عزي

---

(١٣٥) نشرها البطريرك افرام الاول برصوم في صدر المجلد الاول من تاريخ الرهاوي المجهول عن مصحف باسبرينة مخطوط في القرن التاسع .

(١٣٦) الآداب السريانية لفولوس كبريال وكميل افرام البستاني ج ١ ص ١٤٣ .

(١٣٧) اللؤلؤ المنثور ص ٢٥١ – ومن هذه المقالات أربع نسخ قديمة في المكتبة الشرقية في بيروت سنة ١٢١٦ وكنيسة الرهاويين بحلب رقم ٧٧ سنة ١٢٢٨ والفاتيكانية رقم ١٦٩ سنة ١٣٢٥ والزعفرانية رقم ١٠٥ قرن ١٤ ونسخة حديثة في الخزانة البطريركية السريانية الارثوذكسية في دمشق. وقد نشر منها ٤٠ مقالة في مصر سنة ١٨٩٢ .

(١٣٨) نشرها ميخائيل كمشكو في المجلد الثاني من البترولوجيا السريانية ص ١٣١٩ – ١٣٦٠ ورأى بعضهم ان الكتاب الف في القرن السادس للميلاد وقد اقتبس منه كثيرا الراهب الزوقنيني في تاريخه مج ١ ص ٦ – ٩ و٥٩ وما بعدها ونشره بزولد في لبسيك سنة ١٨٨٣ ونقله الى الالمانية. ثم نشر له ترجمة عربية نقلا عن اربع نسخ ونشرت منه السيدة جبسن ترجمة عربية تخالف النص المذكور في الدروس السينائية ج ٨ سنة ١٩٠١ (انظر اللؤلؤ المنثور ص ٢٥٠ و ٢٣١) .

اليه تأبين للقديس باسيليوس الكبير الذي مات قبل مار افرام بست سنوات[١٣٩] .

مؤلفاته المنظومة

الشعر عند السريان نوعان ، النوع الاول مايسمى بالميامر أي القصائد وهي الملاحم المسهبة التي تعد ابياتها أحيانا بالآلاف ، تسرد فيها القصص الروحية وسير رجال الكتاب المقدس والكنيسة . أما النوع الثاني فيسمى بالمداريش أي الاناشيد وهي أبيات من الشعر تصاغ على أوزان مختلفة وألحان شتى بلغ عددها الخمسمائة دبجها مار افرام ، أما مستنبطها فهو برديصان (+ ٢٢٢)[١٤٠] .

« والنظم قائم ، في كلا النوعين ، على اللحن ، لا على التفاعيل ، ومقيد بالنغم ، لا بالقافية ، فيختلف في ذلك كل الاختلاف عن الشعر العربي ويقرب من الشعر المرسل . فهو في جوهره ، شعر غنائي ينشد على جميع الأوتار ، متصاعدا من النبرة الخطابية الى النفس الملحمي ، ولذا فان أوزانه لا تحصر في حد ولا ابحره في عد . ذلك ان البيت لا يعتمد على تآلف المتحرك والساكن . ولا يتكون من الاسباب والاوتاد والفواصل ، بل من تقاطع الكلم الى اصوات متوازية تعادل التقاسيم الموسيقية ، وقد تتراوح الاصوات بين المقطع الواحد والستة عشر مقطعا ، أو أكثر ، في البيت الواحد ، تفصل بينها محطات وقف مما يجعل ضبط الابحر متعذرا »[١٤١] ويذكر انطون التكريتي (+ ٨٤٠) ان عدد البحور الشعرية لدى السريان هو ثمانية عشر بحرا بدءا من ثلاث حركات حتى العشرين ولكن ليس جميعها مستعملا[١٤٢] ومن أشهرها ما جاء فيه البيت على خمسة مقاطع أو ستة أو سبعة أو ثمانية أو أحد عشر أو اثني عشر .

---

(١٣٩) الآداب السريانية — لفولوس كبريال وكميل افرام البستاني ج ١ ص ١٤٤ عن نولدكه في رسالة عن سيرة الاسكندر .

(١٤٠) اللؤلؤ المنثور ص ٦٢٠ و ٦٢١ .

(١٤١) نقلنا هذه الفقرات حرفيا عن الآداب السريانية لفولوس غبريال وكميل افرام البستاني — ج ١ ص ١٩ و ٢٠ .

(١٤٢) الشعر عند السريان — بالسريانية للمطران يوحنا دولباني تعريب الخورفسقفوس برصوم يوسف أيوب — حلب ١٩٧٠ ص ٢٣ عن كتاب معرفة الفصاحة للربان انطون التكريتي الفصيح (+ ٨٤٠) .

ونظم مار افرام على البحر السباعي خاصة ويكون الوقف فيه عادة بعد المقطع الثالث أو الرابع ، ويدخل على هذا الوزن ثلاثة أشكال مختلفة فيكون اما ثلاث حركات واربع أو أربع حركات وثلاث أو حركتين وثلاث ثم اثنتين(١٤٣) .

وارتأى بعضهم ان مار افرام قد استنبط البحر السابع الذي سمي ايضا بالافرامي ، أو انه أخذه عمن سبقه من الشعراء الذين فقد شعرهم(١٤٤) .

ولم يعتمد مار افرام القافية في نظمه ، لان السريان لم يدخلوها في شعرهم حتى صدر القرن التاسع ، متأثرين بذلك بالعرب(١٤٥) .

وتناول بشعره شتى المواضيع الدينية ، العقائدية والروحية . فبجّل السيد المسيح وطوّب امه العذراء مريم ومدح الابرار والصالحين وغبط الزهاد والمتوحدين . ورثى النفس الخاطئة وحثها على التوبة . وهجا الكفرة وكفرهم بشخص يوليان الامبراطور الجاحد ، وقرع البدع والمبتدعين خاصة ماني ومرقيون وبرديصان واريوس ، وأكثر من سرد الحكم في قصائده النفيسة وأناشيده البديعة .

ومار افرام شاعر طويل النفس يمتاز اسلوبه في ميامره ومداريشه بالاسهاب ، وشعره عامة سلس ، يرسله على السليقة فيتدفّق كالسيل العرم .

وكانت ميامره ومداريشه تعبر عما احتواه قلبه الكبير من الايمان وما استوعبه عقله الجبار من الحكمة . وقد حازت مكانة القمة في الكنيسة السريانية فادخلت الطقس البيعي ، وهو لايزال على قيد الحياة ، ذلك انها أعتبرت خيروازع المؤمنين يدفعهم الى العبادة كما يشهد بذلك ماريعقوب السروجي بقصيدته التي نظمها فيه حيث يقول ماتعريبه : «ان مار افرام كنارة الروح القدس

(١٤٣) المصدر السابق ص ٢٧ و٢٨ .
(١٤٤) اللؤلؤ المنثور ص ٤٦ .
(١٤٥) المصدر السابق ص ٤٧ .

ضارع موسى الكليم واخته مريم بتلقينه العذارى والفتيات ولفيف المؤمنين انغاما محكمة بث فيها تعاليم الكنيسة الحقة واحرز بواسطتها اكليل الظفر والانتصار على اعدائها »[١٤٦] •

وقد أجاد البطريرك العلامة افرام الاول برصوم بسرد ما تبقى من منظومات مار افرام ذاكرا بالتفصيل عددها ومواضيعها ، رأينا ان نثبت ذلك ههنازيادة للفائدة[١٤٧] •قال :ــ « ولانعرف عددقصائده التيضاع جانب منها، والمعروف منها : ١٥ قصيدة في الدنح و ١ في السعانين و ١٥ في الفطير و ٥ في آلام ربنا و ٢ في القيامة وتناول الأسرار في أحد القيامة و ١ في أحد الجديد وقصيدة أولها عظيمة هي قوة المسيح ، و ٢ في حبل العذراء الطاهرة ومار اندراوس الرسول وتبشير بلاد الكلخ أو القلتين و ٣ في ايوب و ٢ في مار سرجيس ومار باخوس ومار ديسيط و ٢٠ في الشهداء ، و ٥ في وفاة الاساقفة والكهنة والشمامسة والرهبان الكاملين والاطفال وكل احد و ٧ في تركيب الانسان والخلوة للعبادة والغربة والآخرة والنهاية والتواضع ومحبة الفضة و ١١ في التعازي والآخرة و ٧ في الطلبات وغيرها في الحكم والنصائح والايمان والعلم والتوبة و ١ في قول اشعيا النبي : فليزل المنافق لئلا يعاين مجد الله و ١٠ في الشكر على المائدة و ٤ في يوليان الجاحد و ٢٠ في مواضيع شتى ، ونشر له السيد رحماني جزئين حوى اولهما ٣١ ميمرا وشذرات من ميامر اخرى ، في الشكر على المائدة وسقوط نيقوميدية ونقاوة القلب والندامة ، وفي ان الله ليس هو علة للآفات وعناية الله بنا والسهر والتوبة والظلم والنساك وايوب الصديق ومجاهدة الشيطان ، ونقض برديصان وحصار نصيبين والتوبيخ وكيفية اغراء ابليس الناس على ركوب المعاصي ، واشتمل الثاني على عدة ميامر انشدها في احتباس الامطار وله قصيدة خماسية نفيسة يخاطب فيها ذاته أولها : كم من مرة جعت • ووصية مشهورة منظومة ، وانما حشيت بزيادات ليست من الاصل بشيء ، ودعاء منظوم •

---

(١٤٦) عصر السريان الذهبي ــ للفيكونت فيليب دي طرازي ــ بيروت ١٩٤٦ ص ٦٤ عن اخبار الشهداء والقديسين طبعة الاب بيجان مج ٣ ص ٦٦٥ ــ ٦٧٦ •

(١٤٧) نصا عن اللؤلؤ المنثور ص ٢٤٦ ــ ٢٥٢ •

ودونك المعروف من اناشيده : ٨٧ في الايمان وردا على المرتابين ، و ٨٥ في الجنائز ، و ٧٦ في التحريض على التوبة ، و ١٥ في الفردوس الارضي ، و ٤١ في البتولية وفي اسرار ربنا ، ومن احفلها بالفوائد ٧٧ نشيدا تعرف بالنصيبينية نظمها بين سنة ٣٥٠ ـ ٣٧٠ بقي منها ٧٠ نشرها بيكل ، صاغ عشرين منها في نصيبين مضمنا اياها ما قاسته هذه المدينة في الحصار سنة ٣٥٠ وفي أثناء حرب الفرس عام ٣٥٩ ـ ٣٦٣ وقرظ في بعض منها اساقفتها المذكورين آنفا ، وحبك البواقي في الرها ، خمسة منها في احداث كنيستها واربعة في عبادة الاوثان بمدينة حران وفي اسقفها بيطس وخص بعضا منها بمدينة هنزيط ، والاخيرة بآلام ربنا وقيامته وبالبعث والنشور . ومنها أيضا ١٥ في ميلاد ربنا ، و ١٥ في الظهور الالهي ، و ١٥ في الفطير ، و ٥٢ في البيعة ، و ٥٦ في نقض الاضاليل ، و ١٧ في ابرهيم القيدوني ، و ٢٤ يوليان الشيخ ، و ٢٠ في الشهداء ، و ١٥ في الوعظ ، و ١٨ في مواضيع شتى .

وورد في أقدم كتب الالحان ان (السبلات) أي مراقبي أو سلالم المداريش التي حبكها مار أفرام هي خمسمائة . غير ان أوسعها ولا يزيد على ٤٥ وقد اختلطت الا" على ١٥٦ واكثرها لا يزيد على ٤٥ وقد اختلطت بما صنف على قوالبها ومعانيها ، ودبج هذا الملفان أيضا جانبا من الاناشيد المعروفة بالقالات السهرية والعينانات بل نسب اليه تخشفتات وقاتسمات واستشهد فيلكسينوس المنبجي (+٥٢٣) بكتابين له سماهما فنقيث[١٤٨] نقض اليهود والاضاليل وذكره صاحب تاريخ سعرت[١٤٩] وفنيقيث الشهداء النصيبين[١٥٠] وهو مجموعة من مداريشه كفناقيث الايمان والبيعة والفطير

---

(١٤٨) قال : كلمة سريانية معناها قول صوت ، وهي ترتيلة منظومة تنشد بلحن خاص من الاول الى الثامن . وعنيان : كلمة سريانية معناها جواب وهي ترتيلة تعاد (ردة) ج عنيانات وعناني . وتخشفت : كلمة سريانية معناها ابتهال وهو نوع من الاناشيد السريانية المنثورة . قاتسما كلمة يونانية ، اصلها كالسما ، ومعناها مجالس ، نوع من التراتيل البيعية المنثورة ج قاتسمات . فنقيث كلمة سريانية معناها مجلد ، المجموع العام . وهو اسم احد كتب الفرض في الكنيسة أي (الصلاة على الاطلاق ج فناقيث .

(١٤٩) ١ : ٢١١ .

(١٥٠) في كتابيه في التثليث والتجسد والفداء ـ الخزانة الفاتيكانية عدد ٢٦ .

والنصيبيين التي استشهد بها انطون التكريتي[١٥١] ••• ونسب اليه قصيدة من اجود الاشعار فى يوسف بن يعقوب ذات اثني عشر لحنا •

« ذهب بعض النقاد المعاصرين ان مار افرام كان كاتبا في الاخلاق وواعظا أكثر منه لاهوتيا ــ وهذا صحيح ــ وذلك لقلة مؤونة البحث العقائدي في ميامره ونشائده حتى التي زيف فيها الهراطقة . وانما على اجنحة قداسته طار لها صيت كان لذيوعها كافلا • قالوا ويبهرك منه توقد ذهنه وما حفلت به اشعاره من الاستعارات والصور الجريئة البارعة والرسوم الرائعة والرموز ، وادوار المخيلة التي تفنن فيها شأن سائر الشعراء الشرقيين ــ وهو اسلوب لا عهد لليونان واللاتين به ــ ولكن حظها من الابداع وسمو الأفكار والحماسة يسير[١٥٢] ، وقال آخر وهو أكثر انصافا ما معناه « انه الف ما الف للشعب والرهبان فلم يتعمق في النظريات اللاهوتية ، غير انه ألقى في عظاته الأدبية من شعلة الحمية ونار الحماسة ما بلغ به كنه القلوب وكل ما دبجه حتى الذي بلغ فيه منتهى الاسهاب، كان في نظر قرائه الاقربين عنوان البيان وآية البراعة ، وهل كان الكاتب الا ابن بيئته ؟ »[١٥٣] •

اما القول بقلة حظه من الابداع وسمو الافكار والحماسة فهو اعتساف وشطط ويجرحه اجماع ذوي الاذواق السليمة على دفعه ــ واما الاسهاب في المقال فهو طريقة قلما تعداها قدماء الكتاب السريانيين وغيرهم • واصح ما يقال فيه ان ادراك بعض اناشيده يستدعي كدّ الذهن وجهد الفكر ، وقد استوضح يوحنا الاثاربي (٧٣٥ +) العلامة يعقوب الرهاوي عن بعض معانيها ، وحبذا لو كان بعض حذاق العلماء القريبين من زمانه عمدوا الى التعليق عليها وكشف مبهمها » •

---

(١٥١) القانون العاشر من المقالة الخامسة .

(١٥٢) هايس في مدرسة الرها ص ١٣٣ وشابو في الادب السرياني ص ٢٧ ودوفال في تاريخ الرها ص ١٦٠ .

(١٥٣) تيكسرون في مختصر البترولوجيا ص ٢٩٧ .

أشهر ما ترجم ونشر من آثاره

زينت آثار مار افرام مكتبات الشرق والغرب وهي تعتبر من نفائس المخطوطات في دنيا المكتبات ، ونظر العلم والفن اذ يرجع تاريخ بعضها الى القرون الخامس والسادس والسابع للميلاد • وتوجد خاصة في مكتبات جميع حواضر ومعظم مدن الشرق العربي الشهيرة ومدينة الفاتيكان والمتحف البريطاني واكسفرد وبرمنكهام وكمبرج وباريس وغيرها •

وقد نشر لمار افرام في روما الاب بطرس مبارك اليسوعي ومن بعده المطران يوسف سمعان السمعاني والمطران اسطفان عواد ، ما بين عام ١٧٣٢ — ١٧٤٦ ستة مجلدات كبيرة الحجم ضمت كل ما وجد في مكتبة الفاتيكان من مؤلفاته المنظومة والمنثورة •• ثلاثة مجلدات منها لما خط بالسريانية وثلاثة ما خط باليونانية منقولا عن السريانية وقد فقد الاصل وبقيت الترجمة • وقد ضمت هذه المجلدات الستة الصحيح والمنحول من مؤلفات مار أفرام ونشرت مع ترجمتها اللاتينية •

وقد أعاد طبعها الاب سليه في ستة مجلدات في باريس سنة ١٨٦٠ بعد ان صححها ونقحها وضم اليها ترجمته أيضا •

ونشر الاب بولس بيجان اللعازري في ليبسيك عام ١٨٩٢ وصية مار افرام الاخيرة التي نشرها بعدئذ البطريرك افرام الثاني رحماني بالفرنسية في مجلة الاثار الشرقية السنة الثانية العدد السادس لشهر حزيران ١٩٣٧ ص ٤١ — ٥٧ و ١٧١ و ١٨٥ •

ونشر له البطريرك افرام الاول برصوم قصة بطرس الرسول وذلك في صدر المجلد الاول من تاريخ الرهاوي المجهول عن مصحف في باسبرينة مخطوط في القرن التاسع(١٥٤) •

ونشر له اوفربك في اكسفورد عام ١٨٦٥ نقلا عن مخطوطات المتحف البريطاني ، اربع منظومات وبعض رسائل وتفنيد هراطقة زمانه وختمها بوصيته •

---

(١٥٤) اللؤلؤ المنثور — ص ٢٤٦ .

ونشر له غستاف بيكل في ليبزج عام ١٨٦٦ نقلا عن مخطوطات لندن (مدارج نصيبين) وهي ٧٧ نشيدا ونقلها الى اللاتينية •

ونشر له توما يوسف لامي في مالين ما بين السنة ١٨٨٢ — ١٩٠٢ اربعة مجلدات ضمت مخطوطاته في لندن واكسفورد وباريس ، وفيها الصحيح والمنحول • وقد ترجمها الى اللاتينية وطبع بعضها في اكسفورد وبعضها في لبسيك •

ونشر له الاب بولس بيجان في ليبسيك عام ١٨٩١ اثنتي عشرة قصيدة افرامية في يوسف بن يعقوب رجح علماء الاستشراق انها بقلم مار افرام[١٥٥] •

ونشر له البطريرك افرام الثاني رحماني نقلا عن مخطوطة الفاتيكان[١٥٦] التي خطت عام ٥٢٣ م وغيرها مداريش وميامر وذلك في مطبعة الشرفة — لبنان عام ١٩٠٦ — ١٩٠٩ •

كما نشر له في مجلة الآثار الشرقية الصادرة من المطبعة السريانية في بيروت سنة ١٩٢٦ و ١٩٢٧ ميامر ومداريش عديدة منقول بعضها الى العربية والفرنسية •

ونشر له ادموند بيك في مقالات توالت منذ السنة ١٩٥٥ — ١٩٦٤ في لونان مترجمة الى الالمانية •

وقد نقلت بعض مؤلفات مار افرام الى اللغة اليونانية ، وهو حي ، « ومن محاسنها ان ترجمتها لم تفقدها شيئا من عذوبة فصاحتها الفطرية فهي اذا قرئت باليونانية احدثت نفس التأثير والاعجاب الذي تحدثه قراءتها في أصلها السرياني »[١٥٧] وقد نشرها باليونانية منقولة الى اللاتينية الاب بطرس مبارك اليسوعي والمطران اسطفان عواد ، في ثلاثة مجلدات وذلك في روما ما بين سنة ١٧٣٢ — ١٧٤٦ وقد ضمت الصحيح والمنحول كما ذكرنا آنفا[١٥٨] •

---

(١٥٥) سيرة مار افرام — للخوري اسحق ارملة — ص ١٨١ .

(١٥٦) مكتبة الفاتيكان تحت رقم ١١١ و ١١٢ و ١١٣ .

(١٥٧) سيرة مار افرام السرياني — للخوري اسحق ارملة — ص ١٧٩ عن تاريخ الآداب السريانية تأليف المونسنيور بولس السمعاني ٢ : ٢٩ .

(١٥٨) اللؤلؤ المنثور ص ٢٥٢ الحاشية .

وقد نقلت بعض مؤلفاته الى العربية منذ أجيال عديدة وصل الينا منها احدى وخمسون مقالة نقلت من اليونانية اليها حوالي القرن الحادي عشر واصلها السرياني مفقود . نشر منها اربعون مقالة فى مصر سنة ١٨٩٢[١٥٩] .

ووصل الينا من مؤلفاته ايضا شروح (الدياطسرون) بالارمنية وقد ضاع اصلها السرياني وحفظ نقلها الارمني ونشره الرهبان الارمن في مطبعتهم في البندقية عام ١٨٩٣ . كما نقلت مؤلفاته الى القبطية والحبشية واللاتينية والانكليزية والفرنسية والالمانية وغيرها من اللغات ونشر بها بعض منها .

(١٥٩) المصدر السابق ص ٢٥١ .

الفصل السادس عشر

نقد السيرة

مر بنا آنفا ان النصين اللذين وصلا الينا من سيرة مار افرام قد اضيف اليهما زيادات دسها النساخ جهلا ، وبعضها بعيد عن التصديق ، وبعضها قد يكون جرى لناسك ما غير مار افرام ، ولا يصعب على الناقد النبيه النزيه تجريد السيرة منها ، ولابد لنا في هذه العجالة ان نستعرض آراء بعض النقاد بصدد تعيين تاريخ الحوادث وفقا لتسلسلها الزمني ، مشيرين الى ما لا صحة له من الحوادث والمبالغ فيه منها •

١ ــ ولادته : تذكر نسخة الفاتيكان انه ولد في بدء القرن الرابع ، في ايام قسطنطين المظفر (٣٠٦ ــ ٣٣٧)[١٦٠] وقد جاء في سيرته المطبوعة بالعربية في الموصل سنة ١٨٨٣ انه ولد سنة ٣٠٠ وقال آخرون بل سنة ٣٠٣ كما جاء ذلك في الدرر النفيسة للبطريرك أفرام الاول برصوم ــ حمص ١٩٤٠ ص ٥٢٣ وكذلك في كتاب المرجانة لعبد يشوع الصوباوي (+١٣١٨) بالسريانية طبعة الموصل سنة ١٩٣٤ وتاريخ الكنيسة السريانية للبطريرك يعقوب الثالث ج١ ص ٢٤١ وعبقرية مارافرام للاب برصوم يوسف ايوب ــ حلب ١٩٥٨ ص ١٣ وقال غيرهم انه ولد سنة ٣٠٦ كما جاء في دائرة المعارف البريطانية طبعة ١١ لسنة ١٩١٠ مج ٩ ص ٦٧٨ وكذلك قاموس اكسفرد للكنيسة المسيحية بالانكليزية طبعة لندن ١٩٥٨ ص ٤٥٥ والآداب السريانية للمستشرق روبنس دوفال ص ٣٣٠ وقال غيرهم انه ولد سنة ٣٠٨ كما جاء في الموسوعة الميسرة ــ القاهرة عام ١٩٦٥ ص ١٧٧ وارتأى آخرون انه ولد سنة ٢٨٥ كما جاء في مجلة لسان المشرق في الموصل سنة ١٩٤٩ العددان ٨ و٩ ص ٧٠ •

ويذكر كاتب سيرته انه ولد من والدين وثنيين وان اباه كاهن للصنم أبيزل الذي حطمه الملك يوبنيان فيما بعد • والحال بمقارنتنا هذا الخبر بما كتبه مار افرام عن نفسه يتضح لنا عدم صحته • ذلك ان مار

---

(١٦٠) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ــ الدكتور اسد رستم ــ بيروت ١٩٥٨ ج ١ ص ١٨٤ .

افرام ولد مسيحيا ويقول عن والديه انهما ربياه على مخافة الرب وحدثاه عما سبق فكابده اباؤه من العذاب في سبيل الحفاظ على الايمان • وانه سليل الشهداء(١٦١) كما يذكر في وصيته الأخيرة الحلم الذي رآه وهو فتى حيث نبتت كرمة في لسانه واينعت آلاف العناقيد وربوات الخصل ، وقد فسر مار افرام هذا الحلم فقال : ان العناقيد هي الاشعار • والخصل هي الاناشيد • مبارك من غرس الكرمة وكثر عناقيدها وخصلها »(١٦٢) فلا يعقل ان يكون قد ولد وثنيا ونشأ في بيت وثني وهو يشهد بحسن تربية أبويه له ، ويفسر حلمه بروح مسيحية •

وقد اشتط كاتب السيرة فسرد خرافة بغاية السخافة بقوله ان الصنم الذي كان أبوه يكهن له قد كلمه مرة قائلا : ان غضب الالهة قد استعر عليه وسيبقى تحت طائلته ما لم يطرد من داره الصبي افرام عدوهم الالد• فأطاع الاب امر الشيطان وطرد ابنه افرام من داره وهو فتى صغير •

وزاد كاتب السيرة عنصرا تشويقيا يعتبر العقدة في القصة وهو ان ساعور الكنيسة وكان اسمه ايضا افرام غرر بفتاة فحملت منه سفاحا ، وعندما افتضح امرها وامره ، اتفق واياها لتقول لاهلها كاذبة بان افرام تلميذ مار يعقوب هو مصدر الفعل الشنيع • وهكذا رفع ذووها شكواهم الى مار يعقوب الذي بدوره استجوب مار افرام فأجاب جوابا غامضا حيث قال : « اعف عني يا ابت فاني خاطيء» • ولما حان الزمان لتلد الفتاة ولدت ابنا دفعته الى مار افرام ليقوم بتربيته ، فصار بهذا موضع سخرية وهزء للناس ولكنه احتمل التجربة صابرا • وفي صباح يوم احد دخل الكنيسة وهو يحمل الطفل على ذراعيه • واستأذن مار يعقوب واعتلى المنبر ، ووجه الى الطفل سؤالا قائلا : « اقسم عليك باسم يسوع المسيح خالق السماء والارض وكل ما فيهما ، ان تقول لنا الحق من هو ابوك ؟ فنطق الطفل باعجوبة وقال ثلاث مرات : « ان ابي هو افرام ساعور الكنيسة » قال هذا ومات • فلما شاهد الحاضرون ذلك وسمعوا كلام الطفل اخذتهم الدهشة

(١٦١) انظر هنا الفصل الثالث .

(١٦٢) أنظر هنا الفصل الثالث أيضا .

واستولى عليهم الخوف وسكبوا الدموع السخينة ، وطلبوا من القديس افرام المغفرة لانهم قد شكوا في طهره فصلى عليهم مع القديس يعقوب مسامحا اياهم[١٦٣] .

يستبعد بعض النقاد هذه الحادثة ذلك ان القديس مار افرام كان ذا صيت حسن وكان اريج سيرته يعبق في الكنيسة فلا يعقل ان يجرأ ساعور الكنيسة بتوجيه تهمة كهذه اليه . ولعل مصدر شطط خيال كاتب السيرة هو قيام مار افرام بعدئذ بتعليم الفتيات بنفسه الأمر الذي كان ثورة في الكنيسة عصرئذ ، ولكي يعمل الكاتب على اعلاء شأن القديس لدى المؤمنين اخترع هذه القصة الغريبة من نوعها ، واضفى عليها صفة عجائبية .

٢ ـ عماده : من اخطاء نسخة الفاتيكان انها تجعل تاريخ عماده بعد مغادرته نصيبين عام ٣٦٣ وتقول انه جاء الى بيت كرماي واعتمد فيها وتعلم المزامير وتخرج في علم الكتاب المقدس وله من العمر ثمانٍ وعشرون سنة .

ليس للناقد اعتراض على تأخير عماد احد المؤمنين حتى سن الثامنة والعشرين فقد كانت العادة المتبعة لدى بعض المؤمنين في الأجيال الاولى ان يؤخروا عماد اولادهم . ولكن ليس من المنطق ان يتأخر عماد مار افرام حتى سنة ٣٦٣ لان القصة نفسها تقول انه حضر مجمع نيقية برفقة مار يعقوب اسقف نصيبين ، والحال ان المجمع قد عقد سنة ٣٢٥ ولابد ان عمره كان ينيف على العشرين يومذاك . اما مغادرته نصيبين نهائيا فقد كان سنة ٣٦٣ وعمره كان يناهز الستين . آخذين بعين الاعتبار ما قاله كاتب السيرة . نفسه انه ولد في ايام قسطنطين الملك (٣٠٦ـ٣٣٧) .

ويذكر كاتب السيرة انه تعلم المزامير بعد مغادرته نصيبين في حين انه كان مديرا لمدرستها وقد وضع فيها اناشيده البليغة المعروفة (بالنصيبينية) فهل كان حتى ذلك الحين لا يعرف المزامير ولم ينل نعمة العماد؟[١٦٤] .

---

(١٦٣) شهداء المشرق ـ طبعة الموصل ١٩٠٦ مج ٢ ص ٤٦ و ٤٧ .

(١٦٤) تاريخ كلدو واثور للمطران أدى شير ـ بيروت ١٩١٣ مج ٢ ص ٤٩ .

فالاصح انه اعتمد في سن الثامنة عشرة ، وان ذلك جـــرى قبل رسامته شماسا وحضوره مجمع نيقية (٣٢٥) وقد اعتمد في بيت كرمـــاي الواقعة ما بين نصيبين ودياربكر كما ارتأى بعضهم •

٣ ــ حضوره مجمع نيقية برفقة مار يعقوب النصيبيني ســـنة ٣٢٥ يؤيده العلامة ابن العبري (١٢٢٦ ــ ١٢٨٦+) في تاريخه الكنسي[١٦٥] • وقد اعتمد بذلك على اصدق المؤرخين الذيـن سبقوه • ولا عجب فقـــد حضر المجمع غيره من الشباب كاثناسيوس الذي كان هو الاخر شـماسا يومذاك ورافق بطريرك الاسكندرية الى المجمع •

وان حضور افرام مجمع نيقية يبرر اندفاعه العنيف في كل مناســـبة للدفاع عـــن العقيدة التي قررها ذلك المجمع •

٤ ــ حصار نصيبين : حاصر الفرس نصيبين ، في عهد مار افرام ، ثلاث مرات ، جرت المرة الاولى سنة ٣٣٨ وكان مار يعقوب اسقف المدينة حاضرا، وقد توفي في هذه السنة ذاتها • وكان الحصار الثاني سنة ٣٤٦ والحصار الثالث سنة ٣٥٠ اي بعد وفاة مار يعقوب باثنتي عشرة سنة ودام هـــذا الحصار سبعين يوما حيث حول شابور مجرى نهر مقدونيـوس نحـــو سور المدينة فسقط السور وانتظر شابور يوما كاملا لترجع المياه الـــى مجاريها ، وفي اليوم التالي حاول ان يدخل المدينـــة فصـــده عـــن ذلك سور جديد كان الشعب شيده قبل ان يسقط السور القديم • وقد وهـم بعض المؤرخين ومن بينهم مار ميخائيل الكبير بتاريخه الكنسي السرياني[١٦٦] ان مار يعقوب كان لا يزال على قيد الحياة في هذا الزمن وانه كان يصلي في الهيكل وبصلاته رد شابور على اعقابه ، والحال ان مار يعقوب قد توفي سنة ٣٣٨ وان هذا الحصار جرى سنة ٣٥٠ اي بعد وفاته باثنتي عشرة سنة •

اما مار افرام فكان في مقدمة من شجع الشعب على القتال والصمود امام العدو الغاشم والدفاع عن المدينة ، وكان ينظم خـلال ذلك ميامره

(١٦٥) طبعة ابيلوس ولامي ١ : ٢٣ .

(١٦٦) طبعة باريس ١٨٩٩ ص ١٣٤ و ١٣٥ .

واناشيده مؤرخا هذه المعركة وانتهى من كتابة اشعاره فيها عند انتهائهــا حيث اظهر فرحته بالنصر[166] ٠

وتساور بعض النقاد الشكوك في صحة ما ذكر في السيرة في سرد حوادث احدى المعارك السابقة ان شخصا متوجا ظهر على اسوار نصيبين وحارب الفرس وارعبهم ، وان البق قد هاجم خيلهم فاربكها ، وهكذا هربوا عن المدينة خائبين ٠

٥ ــ اخطأ كاتب السيرة بان جعل قسطنس الذي مات سنة ٣٥٠ والذي لم يسلك في الشرق ابدا خلفا لاخيه قسطنطين الذي كان حيا حتى سنة ٣٦١ ٠

٦ ــ لا صحة لما ذكر في سيرته من انه عند قدومه الى الرها تفــرغ للخدمة في حمام ، وان غالبية سكان الرها كانوا وثنيين ، وان يوليــان الشيخ قد مر به ورآه يجادل وثنيا ، وبعد ان علم بخبره ، اشار اليه ان ينقطع للعبادة في جبل الرها ٠ فصعد معه مار افرام الى الجبل ولبس الثــوب الرهباني ، وتعبد وتنسك في مغارة ٠

يظهر عدم صحة هذه القصة من المركز الذي ناله مار افرام في نصيبين قبل مغادرتها حيث كان مدير مدرستها الشهيرة وكان شاعرا مجيدا دبــج فيها الروائع فهل يعقل ان يأتي الى الرها ليخدم في حمام !؟ ونحن نعلــم ان اساتذة مدرسة نصيبين وتلاميذها قد رافقوه الى الرها ، فهل كــانوا يخدمون معه في الحمام ام انهم واياه جاءوا الرها ليجددوا مدرســتها ، ويشاركوا نساكها العبادة في جبلها ؟ فان هذا هو المناخ الموافق للســيرة الرهبانية التي نشأوا عليها ٠

٧ ــ ويضيف كاتب السيرة ان الشيخ قد رأى في الحلم ملاك الرب نازلا من السماء وفي يده مدرج عليه كتابة ــ فقال للذيــن حوله « بيد من اسلم هذا المدرج ؟ فقالوا بيد الراهب اوكين ، قال : ان الرب لم يأمرني

---

(167) A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of Christian Church — Grand Rapids — Michigan — 1956 — Second Series, Volume XIII, PP. 140 .

بهذا ، قالوا : اذن سلمه بيد الراهب يوليان ، فاجاب : لا يستحقه اليوم الا أفرام النصيبيني الذي في جبل الرها » وفي صباح اليوم التالي انطلق ذلك الراهب الى مار أفرام فرآه يكتب تفسير سفر التكوين فايقن بصحة الرؤيا •

ولما كمل تفسير السفر اخذه الى مدرسة الرها ، فأستدعى اساتذتها افرام ، فهرب منهم • ثم ظهر له ملاك الرب قائلا : حذار ان يتم فيك قول الكتاب « ان أفرام هرب مني نظير عجلة خرجت من تحت النير عاصية » (هوشع ١٠ : ١١) ؟ فانطلق الى مدرسة الرها وعلم •

ينكر بعض النقاد على مار افرام تصرفا كهذا ، لان من يدرس سيرته يراه مندفعا الى التعليم الى جانب النسك والتقشف ، حتى أن مار يعقوب السروجي في قصيدته في مدحه لم يذكره كناسك بل كمعلم ، ولذلك عندما غادر نصيبين اختار المجيء الى الرها خصيصا ليعلم في مدرستها • وقد فسر حقا الكتاب المقدس ويظهر ان كاتب السيرة اراد ان يتوج هذا التفسير بهالة الهامية فصاغ قصة الملاك والشيخ ، والهرب من مسؤولية التعليم ودسها في سيرته وذلك بعد موته بسنين أو اجيال عديدة •

٨ ــ وزاد على هذا تشبيه مار افرام بمار بولس والهراطقة باليهود ، فذكر ان الهراطقة رجموا افرام خارج الرها ، وذلك كما فعل اليهود ببولس في لسترة (أ ع ١٤ : ١٩ ــ ٢٠) مع ان كاتب السيرة لم ينوه ببولس ولا باليهود •

٩ ــ كما انه شبهه ضمنا ايضا ، بداود فذكر أن مار أفرام تظاهر بالجنون للهرب من كرامة درجة الاسقفية عندما دعي الى ذلك فتخلص من الذين دعوه تماماً كما فعل داود النبي عندما تظاهر بالجنون امام اعدائه (اصم ٢١ : ١٣ ــ ١٥) فتخلص منهم •

١٠ ــ ودست في سيرته قصة قد تكون جرت لناسك آخر وهي ان امرأة فاجرة اتته يوما لتوقعه في حبائلها فاجاب القديس الى سؤالها بشرط ان يكون ذلك امام الناس في السوق ، فاستغربت منه المرأة هذا الشرط القاسي وقالت كيف يكون هذا والناس يتطلعون علينا ، اجابها فكيف تريدين

ان نقترف هذه الخطية وخالق السماء والارض ينظر الينا • اما تخافين الله الموجود فى كل مكان ! • وهكذا جذبها الى التوبة •

١١ ـ وحدث مرة اذ كان القديس في بيت يهيء له طعاما ، اشرفت عليه امرأة من نافذة ، وقالت له : اما يعوزك شيء يا راهب ؟ اجابها نعم يعوزني ثلاثة احجار وقليل من الطين لاسد هذه الكوة التي بيني وبينك • ويستبعد النقاد هذه الخشونة من مار افرام الذي اعتاد على ان يكون في الكنيسة مع الفتيات والعذارى اللواتي يرى فيهن جميعا بنات له روحيات ولم يغلق على نفسه باب مغارته كما فعل العديد من النساك •

١٢ ـ زيارة مصر وقيصرية قبدوقية : ـ

ذكر كاتب السيرة ان مار افرام قضى ثماني سنوات في زيارة مصر وقيصرية قبدوقية • فيرى بعض النقاد ان مار افرام لم يقم بهذه الزيارة داعمين رأيهم هذا ببعد المسافة وبانشغاله في الرها وقصر في الفترة الزمنية ما بين انتقاله اليها وموته وهي عشر سنوات لا يمكن ان يقضي منها ثمانياً خارج الرها ذلك ان احتلال الفرس لنصيبين جرى سنة ٣٦٣ فغادرها وصحبه الى بيت كرماى ثم ديار بكر فلم يصلوا الى الرها حتى سنة ٣٦٤ وفي الرها تنسك ، وعلم ، واجتهد في مناهضة الهراطقة • وهذا العمل يتطلب سنين طويلة ، وتوفي سنة ٣٧٣ •

فان كانت مدة مكوثه في مصر ثماني سنوات فينتج من هذا انه لم يمكث في الرها سوى سنتين ، وهذا امر مستحيل اذا قيس بما انجزه من اعمال جبارة فى الرها • لذلك ارتأى بعض النقاد وهم اكثر اعتدالا من الاولين بان مار أفرام قد زار حقا مصر وقيصرية قباد وقية ولكنه مكث فيهما سنتين فقط • وقد بدأ رحلته قبيل نهاية عام ٣٦٩ وعاد الى الرها قبيل نهاية عام ٣٧٢ والتقى في مصر بنساك عديدين منهم الانبا بشواي . كما زار في قيصرية قبدوقية القديس باسيليوس الذي رسم اسقفا فى اواخر سنة ٣٧١ وكان موعد زيارة مار افرام له عيد الدنح سنة ٣٧١ وعاد الى الرها قبيل نهاية سنة ٣٧٢ حيث كان فيها عندما حلت المجاعة فيها في شتاء سنة ٣٧٢ـ٣٧٣ وقضاه في غضون تلك السنة بجمع الصدقات ، واشباع الجياع ، وايواء الغرباء ،

والاعتناء بالمرضى ، وتوفي في حزيران سنة ٣٧٣ • لذلك فمدة زيارته لمصر وقيصرية قبدوقية لا تتجاوز السنتين •

ويستنكر بعض النقاد ما دس في حادثة هذه الزيارة من ذكر معجزات اقتبست من الكتاب المقدس ونسبت الى مار افرام كتهدئة العاصفة التي هبت خلال السفرة وتسكيته البحر الهائج بكلمة ، كما فعل السيد المسيح (مر ٤ : ٣٩) وابادة حوت في البحر وموهبة التكلم بلغات عديدة التي منحت له ولبشواي الناسك القبطي في مصر وله ولمار باسيليوس الكبير في قيصرية قبدوقية كما كانت قد وهبت للرسل والتلاميذ يوم الخمسين (أ ع ٢) • وترك عصاه في وادي النطرون امام قلاية الانبا بشواي فاورقت وصارت شجرة كبيرة لا تزال تعرف حتى اليوم « بشجرة مار افرام السرياني » وهي في ساحة دير السريان في وادي النطرون الواقع في البرية ما بين القاهرة والاسكندرية • وهذه الاعجوبة اقتبست من العهد القديم حيث افرخت عصا هارون واعطت لوزا (عد ١٧ : ٨) ويقول بعضهم ان الرهبان السريان قالوا بها لتثبيت مركزهم في مصر ولاقامة علاقة ما بين مار أفرام الراهب السرياني الشهير وما بين الانبا بشواي احد كبار النساك المصريين • ونسبوا لمار أفرام رده راهبا عن الهرطقة في مصر ، في مجال محاربته الهراطقة هناك •

كما نسبوا اليه اعادة الحياة الى شاب لدغته افعى لانه تهكم على القديس في سميساط ، بما يشابه ما جرى للفتيان الذي تهكموا باليشاع النبي (٢ مل ٢ : ٢٣ — ٢٤) •

ومن العجائب التي نسبت اليه بعد عودته الى الرها شفاء مخلع على باب كنيسة مار توما في الرها ، وقد اقتبست من شفاء الرسولين بطرس ويوحنا لمخلع على باب الهيكل المسمى بالجميل في اورشليم (أ ع ٣) •

وكذلك اختفاء خطايا الخاطئة التي كتبت خطاياها على قرطاس قدمته للقديس باسيليوس في قيصرية قبدوقية فمحيت كلها ما عدا واحدة فارسلها مار باسيليوس الى مار أفرام قائلا لها : ان مار أفرام وحده قادر ان يمحو تلك الخطية ، ثم اعادها مار أفرام الى مار باسيليوس مشيرا اليها ان تسرع بالسفر لتلتقي به قبل موته ، فجاءت ووجدت جثمان مار باسيليوس يشيع الى مقره الاخيرة في قيصرية ، فوضعت القرطاس على جثمانه فمحيت الخطية •

ويفضح كذب هذه القصة من ان مار افرام توفي سنة ٣٧٣ اما وفاة مار باسيليوس فكانت سنة ٣٧٩ اي بعد مار افرام بست سنوات •

اما ما يستنكره اغلب النقاد فهو ما ذكر في النص اليوناني ولم يذكر في النص السرياني للسيرة من ان صديقا غنيا لخيرته ومحبته لصديقه مار افرام اهدى ثوبا ثمينا نفيسا ليلف فيه جثمان القديس عند موته ، ولأجل هذا الخطأ الذي صدر عنه عن نية صادقة اسلمه مار افرام الى ابليس ، وهذه الحادثة تسيء الى القديس مار افرام وتجعل منه انسانا ظالما ، ولعل كاتب هذه الخرافة قد وجد مبررا بدسها بالسيرة من طلب مار افرام من اصدقائه بقسم ، ان لا يضعوا على جثمانه ثوبا نفيسا وا ن يدفنوه في مقبرة الغرباء •

ولا غرو فعلى اضرحة الآباء ومقابر الشهداء تنمو عادة العجائب وتنسب اليهم وتقتبس اغلب هذه المعجزات من حوادث الكتاب المقدس مما جرى على ايدي الأنبياء والرسل • حتى قد تقتبس من بعض العجائب التي اجترحها السيد المسيح ، لذلك يرى بعض النقاد ان تاريخ ما نسب الى مار أفرام من معجزات يعود الى ما بعد تاريخ وفاته باجيال • ولا يعني هذا ان هؤلاء النقاد لا يؤمنون بالمعجزة فعجائب الله في قديسيه » كما يقول الكتاب ، والله تعالى هو هو امس واليوم والى الأبد ولا يمكن ان تقتصر المعجزات على زمن معين من الأزمنة او عصر من العصور ، أو مكان خاص ، ولكن الأعجوبة انما تصنع بقوة الله تعالى لاثبات امر الهي كأثبات رسالة صانعها (حز ٤ : ٨) او لتجذب الناس لمعرفة الله (مر ١٦ : ٢) وتثبت صحتها بشهود صادقين لذلك لا يقر الناقد بصحة اعجوبة ما ، ما لم تكن مدعومة بالبراهين التاريخية الدامغة تجعل منها احدى الحقائق التاريخية الصادقة • وقد نسيء الى كرامة قديس ما اذا نسبنا اليه ما لم يقم به من معجزات •

١٣ ــ يشك الناقد بوجود مار افرام في الحياة عندما اتى والنس الملك الى مدينة الرها ونفى اسقفها مار برسا • فان نفيه كان في شهر ايلول من سنة ٣٧٣ اي بعد ثلاثة اشهر من تاريخ وفاة مار افرام التي جرت في ٩ حزيران

٣٧٣ • وقد يكون بعضهم قد ارخ هذه الحادثة باناشيد سريانية نسبت لمار افرام وهي ليست له[١٦٨] •

١٤ ــ وهم كاتب السيرة بذكر هجوم الهونيين على الرها وسائر بلاد ما بين النهرين فى عهـــد مار أفرام فسلبوا المال وقتلوا الرجال ، فان هذه الحادثة قد جرت سنة ٣٩٦ اي بعد وفاة مار افرام بثلاث وعشرين سنة •[١٦٩]

---

(١٦٨) تاريخ كلدو واثور جـ ٢ ص ٤٨ و ٤٩ عن التاريخ الرهاوي في السمعاني ١ : ٤٠٠ ودونال ــ الاداب السريانية ٣٣٥ .

(١٦٩) المصادر السابقة .

الفصل السابع عشر

أقوال مأثورة لمار افرام

من قصيدة له في العلم (١٧٠)

ـ اللهم امنح علماً مَن يحب العلم . واجعل الاستاذ الذي يحسن التعليم عظيماً في ملكوتك .

ـ ان الذي يحب العلم يكون دائم النشاط ، ومن يحب الكسل لا يستطيع النجاح .

ـ فاقتن لنفسك ايها الانسان الاجتهاد فانه كنز العلم العظيم ، وتجنب الكسل لانه من الخسائر ملآن .

ـ اتخذ لك اصدقاء من رجال الله واحبائه ، اما محبو السكر فلا ترافقهم حتى ولا في الطريق .

ـ اقتن الذهب بمقدار اما العلم فاكتسبه بلا حد لان الذهب يكثر الافات واما العلم فيورث الراحة والنعيم .

ـ كن في فتوتك متواضعا لترتفع في شيخوختك . وعود نفسك العوائد الصالحة لتحيا حياة مغبوطة .

ـ خصص لكل امر وقتا واسلك بترتيب ، واجعل وقتا للاكل والشرب وكذلك للعلم .

ـ ان الحكمة افضل من الزينة ، والعلم خير من الامور وفتى حدثاً حكيماً خير من ملك شيخ جاهل .

ـ اكرم الشيوخ واجلس دائما عند اقدامهم واصغ الى اقوالهم .

---

(١٧٠) نشرت ترجمتها العربية في المجلة البطريركية السريانية في القدس السنة الرابعة العدد ١ كانون الثاني ١٩٣٧ ص ٥٢ ـ ٥٦ وعنها ننقل هذه السطور كما نشر النص السرياني وتعريبه في عبقرية مار افرام ص ٧٧ـ٨٥ .

ـ ان العلم يضفر اكليلا ويتوج به رأس محبيه ويرفع من المزبلة الى عرش الملـك •

ـ لتكن لك الكتب بمنزلة موائدك فتشبع منها لذة ، ولتكـن بمثابـة فراشك فترقد سنة الراحة •

من قصائده في قصة يوسف(١٧١)

ـ الحسد سهم نافذ يقضي على راميه

ـ اذا دس الحراث الزؤان بالزرع حصد منه شوكا •

ـ من يمتلك ذهبا خالصا لا يخشى من امتحانه بالنار •

ـ لا يفارق المرجانة جمالها اينما كانت •

ـ ليراع المتكلم العدل ، وليطل السامع روحه •

ـ ليس بكثرة البنين تكون الحياة للاباء •

ـ اذا شاء رب البرايا قام الولد الواحد مقام الكثيرين •

ابتهال : من قصيدة له في نقاوة القلب

نتقل الى العربية ما يلي :

اللهم اخلق في قلبا نقيا ، عفيفا ، طاهرا ، بسيطا ، لا يفكر بالشر ، ولا تأوى اليه الشهوات •

قلبا نقيا ، لا يعرف الثلب ولا يغتاب قريبه •

قلبا نقيا ، يملأه الحب دائما ، وفي كل حين يبتغي الامان والسلام لكـل انســان •

---

(١٧١) عربها ونشرها بالطبع ـ الخور اسقف بولس السمعاني جونيه ـ لبنان ١٩٤١ .

قلبا نقيا ، يحب الصوم والصلاة والسهر واذلال الجسد والعمل والتعب دائمـــا •

قلبا نقيا يبتغي التواضع ويلزم السكينة والبشاشة مع الجميع •

قلبا نقيا اكلته غيرة بيتك ، ولا يقعد عـــن مناصبة مخالفي شريعتك •

قلبا نقيا يحب الصدقات ويوزعها ويشفق على ذوي الحاجة ويرأف ببني جـــلدته •

يا محب البشر ضع في مثل هذا القلب واغـــرس فيـــه مخـافتك كالغرســـة النامية •

تعريب مدراش

في يوحنا المعمدان(١٧٢)

١ ـ طوبى لك يا ابن العاقرة ، فقد صارت يدك اهلا لتوضــع على هامته (المسيح) • وانك عمدت من عمد الامم بتعليم النار والروح القدس • طوبى لعقلك اذ ارتعب ولم يقو على الدنو (منه) ولفهمك حيــث انك لــم تعص عندما امرت • لقد شقت السماء ، واندهشت الملائكة ومجدت لان مطهر الكل قد اعتمد •

٢ ـ طوبى لك يا يوحنا فانك عظيم في الانبياء اولئك الذين ، من بعيد، تاقوا الى رؤية المسيح الابن لكنهم لم ينظروه • اما انت فقد وضعت يــدك على رأسه •

ولانك لبست الناموس خدمت بغيرة ، وتسربلت بالمسيح ، اظهــرت الحنان • بشخصك نزل ايليا آتيا (الى العالم) من حيث لم يأت بــل قــد مثلته بعملك •

---

(١٧٢) مداريش مار افرام في البتولية ـ نشره البطريرك أفرام الثاني رحماني ـ ـ الشرفة ـ لبنان ١٩٠٦ ص ٤٥ .

٣ ـ طوبى لك يا نهر الاردن الصغير ، فان البحر النقي الرائق نزل واعتمد فيك • انك لا تستوعب بخار قطرة واحدة منه ، فهو مصدر الحياة ومطهر الذنوب ، طوبى لينابيعك التي تنقت بنزول القدوس حيث تواضع فاستحم فيك وبعماده فتح المعمودية لتطهير النفوس •

تعريب مدراش في الفردوس(١٧٣)

بعين الفكر شاهدت الفردوس واذا بقمم الجبال كافة لا تطال علوه الشاهق ، انه يتلألأ بنوره الوهاج ويجذب المرتقين اليه ببهاء جماله • تعبق جوانبه بالروائح الطيبة • وسحبه المجيدة صارت مظال لمن يستحقون الدخول اليه • يستطي الابرار سحبا ويطيرون في الجو صاعدين الى الفردوس ليرثوه ، كل حسب جهاده • قاعه للتائبين ، ووسطه للابرار ، وقمته للكاملين ، والعرش لرئيسه •••

ان نوحا في فلكه آوى البهائم في الطابق السفلي ، واوكر الطيور في الطابق الوسطى ، وتربع كاله في الطابق العلوي •

ان الذي غرس الجنة الغناء ، بنى الكنيسة الطاهرة ونبتت فيها شجرة المعرفة •

لقد ابتهج ولكنهم لم يفرحوا ، وحذر ولكنهم لم يخافوا ، وغرس الكلمة في الكنيسة ، مواعيدها مفرحة وتهديداتها مرعبة ، من يحتقرها يهلك ، ومن يتمسك بها • يحيَ •

---

(١٧٣) طبعة ادموند بيك ـ في لوفان ١٩٦٠ مج ١٧٨ ص ٢

الفصل الثامن عشر

اشهر تلاميذ مار أفرام

لابد ان تخرّج على مار أفرام ، في مدرستي نصيبين والرها ، عدد وافر من التلاميذ ، طبعوا على غراره ، ولكنهم لم يبلغوا منزلته العلمية ، اشتهر منهم :

١ ــ آبا : الذي فسّر الدياطسرون ، وله مقالة فى أيوب[١٧٤] ومقالة اخرى فى الآية التاسعة من المزمور الثاني والاربعين ، ونصائح منظومة . وقد جادل مكسيموس الاريوسي[١٧٥] .

٢ ــ زينوبيوس : كان شماسا في الرها . كتب سيرة معلمه . وله رسائل وردود على مرقيون وبسفيل ذكره الصوباوي بين المؤلفين اليونانيين[١٧٦] ولم يبق له سوى خطابين نشر احدهما فى مجلة الشرق المسيحي[١٧٧] .

٣ ــ آسونا : شاعر مجيد ، له ميامر واناشيد على البحرين الرباعي والسداسي ومداريش فى الموتى ، قال عنه انطون الفصيح انه كان قبل مار أفرام[١٧٨] اما السعرتي فيعده من تلاميذه . وهو الرأي والارجح[١٧٩] « وآل به الامر الى الضلالة بالخيالات الباطلة فمات شقيا »[١٨٠] .

---

(١٧٤) اللؤلؤ المنثور ص ٢٥٢ عن فهرست مكتبة لندن لرايت ص ٩٢٢ .

(١٧٥) تاريخ كلدو واثور مج ٢ ص ٥١ عن التاريخ السعرتي ١ : ٢١٠ والآداب السريانية لدوفال ص ٧٦ .

(١٧٦) الدرر النفيسة ص ٥٢٦ واللؤلؤ المنثور ص ٢٥٣ وكلدو واثور مج ٢ ص ٥١ عن السمعاني ٣ : ١ : ٤٣ .

(١٧٧) ادب اللغة الارامية ــ ص ٨٩ طالع أيضا مجلة الشرق المسيحي الدورية ٢٦ لسنة ١٩٦٠ ص ٣٠١ ــ ٣٠٦ وبومشترك ص ٦٦ ، ودوفال ص ٣٣٥ ودي اوربينا ص ٨٥ .

(١٧٨) الدرر النفيسة ص ٥٢٦ واللؤلؤ المنثور ص ٢٥٣ عن معرفة الفصاحة لانطون الفصيح ق ١٠ ،٥ .

(١٧٩) كلدو وآثور مج٢ ص ٥١ وادب اللغة الارامية ص ٩٠ .

(١٨٠) الدرر النفيسة ص ٥٢٦ .

٤ ــ قورلونا : شاعر بارع ، نظم قصائد نفيسة في القسح وآفات عصره ، وفى غزوة الهون التتر لبلاده ما بين سنة ٣٩٤ و ٣٩٦[١٨١] نشر بيكل النساوي سنة ١٨٧٣ جملة من قصائده فى الصليب والفصح والحنطة وغيرها مترجمة الى الالمانية وذلك عن مصحف محفوظ في لندن تحت رقم ١٤٥٩١ يرقى تاريخ نسخه الى القرن السادس[١٨٢] .

٥ ــ القس عبسميا : وهو ابن اخت مار أفرام ، نظم ميامر ومداريش في غزو الهون لبلاد ما بين النهرين والشام سنة ٣٩٥ قال عنه البطريرك السرياني مار ديونيسيوس انه عُرف سنة ٣٩٧ واما عبد يشوع الصوباوي فيسميه عبشلاما[١٨٣] .

٦ ــ شمعون السميساطي : كاتب سيرة استاذه[١٨٤] .

٧ ــ يوليان : وضع اناشيد بيعية وفنّد مرقيون وغيره من المبتدعين[١٨٥] .

٨ ــ القس اسحق الامدي : قيل انه اخذ عن مار أفرام في الفترة التي قضاها فى آمد (ديار بكر) سنة ٣٦٣ بطريق سفره من نصيبين الى الرها . وقد نظم اسحق قصائد بليغة وتوفي بعد سنة ٤١٠[١٨٦] .

---

(١٨١) المصدر السابق والاداب السريانية جـ١ ص ١٧٢ .

(١٨٢) كلدو واثور مج٢ ص ٥١ والاداب السريانية جـ١ ص ١٧٣ .

(١٨٣) الدرر النفيسة ص ٥٢٦ واللؤلؤ المنثور ص ٢٥٤ وكلدو واثور مج٢ ص ٥١ عن السمعاني ١ : ١٦٥ .

(١٨٤) المصادر السابقة وتاريخ السعردي ١ : ١٧٩ .

(١٨٥) الدرر النفيسة ص ٥٢٦ .

(١٨٦) المصدر السابق واللؤلؤ المنثور ص ٢٥٤ وكلدو وآثور مج٢ ص ٥١ عن السمعاني ١ : ١٦٥ و ١٦٨ .

أهم مصادر الكتاب

١ ـ ابن العبري : العلامة مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري مفريان المشرق (+ ١٢٨٦) ٠

أ ـ تاريخ مختصر الدول ـ بالعربية طبعة الصالحاني بيروت ١٩٥٨ ٠

ب ـ التاريخ الكنسي بالسريانية ـ طبعة لوفان ١٨٧٢ ٠

٢ ـ ادى شير : (مطران سعرد الكلداني الاثوري)

أ ـ تاريخ كلدو واثور بالعربية ٠ المجلد الثانى ـ مطبعة اليسوعيين ـ بيروت ١٩١٣ ٠

٣ ـ اسحق ارملة (الخوري)

سيرة مار افرام السرياني بالعربية ـ طبعة بيروت ١٩٥٢ ٠

٤ ـ اسد رستم (الدكتور)

أ ـ تاريخ الروم ـ بالعربية ـ طبعة بيروت ١٩٥٥ ٠

ب ـ كنيسة مدينة الله انطاكية بالعربية ـ طبعة بيروت ١٩٥٨ ٠

٥ ـ افرام برصوم (البطريرك مار اغناطيوس افرام الاول)

أ ـ الدرر النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة بالعربية طبعة حمص ١٩٤٠ ٠

ب ـ المؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية بالعربية ـ طبعة حلب ١٩٥٦ ٠

٦ ـ افرام رحماني : (البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني الثاني)

أ ـ مداريش مار افرام فى البتولية ـ بالسريانية مطبعة الشرفة ـ لبنان ١٩٠٦ ٠

ب ـ المباحث الجلية بالعربية ـ مطبعة الشرفة ـ لبنان ١٩٢٤ ٠

٧ ـ افرام بولس (المطران مار اتناسيوس)

عبر في سير ـ بالعربية ـ طبعة القامشلى ١٩٦٣ ٠

٨ ـ البير ابونا (الاب)

ادب اللغة الارامية ـ بالعربية طبعة بيروت ١٩٧١ ٠

٩ ـ اوجين تيسران (الكاردينال)

خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ـ تعريب المطران سليمان صائغ طبعة الموصل ١٩٣٩ .

١٠ـ ايسيذورس (الاسقف)

الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ـ بالعربية طبعة مصر ١٩١٥ .

١١ـ برصوم يوسف ايوب (الخورفسقفوس)

عبقرية مار افرام السرياني بالعربية ـ طبعة حلب ١٩٥٨ .

١٢ـ بطرس نصري (القس)

ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان بالعربية ـ طبعة الموصل ١٩٠٧ .

١٣ـ بولس بيجان (الاب)

مجموعته السريانية التى تضم وصية مار افرام الاخيرة ـ طبعة باريس ١٩٠١ .

١٤ـ دائرة المعارف البريطانية ـ بالانكليزية

الطبعة الحادية عشرة ـ سنة ١٩١٠ المجلد التاسع .

١٥ـ عيسى اسعد (الخوري)

الطرفة النقية من تاريخ الكنيسة المسيحية بالعربية ـ طبعة حمص ١٩٢٤ .

١٦ـ فولوس كبريال وكميل افرام البستاني
الاداب السريانية ـ بالعربية ـ بيروت ١٩٦٩ .

١٧ـ فيليب دي طرازي (الفيكونت)
عصر السريان الذهبي ـ بالعربية ـ بيروت ١٩٤٦ .

١٨ـ قاموس اوكسفرد فى الكنيسة المسيحية ـ بالانكليزية ـ
طبعة لنـدن ١٩٥٨ .

١٩ـ المكتبة المختارة لآباء نيقية ـ بالانكليزية ـ

طبعة مشيغن ـ الولايات المتحدة سنة ١٩٥٦ القسم الثانى المجلد الثالث عشر .

٢٠ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ باشراف محمد شفيق غربال مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٥ ٠

٢١ـ ميخائيل الكبير (البطريرك + ١١٩٩)

كتاب التاريخ الديني المدني العام بالسريانية طبعة شابو ـ باريس ١٨٩٩ ٠

٢٢ـ ياقوت الحموي

معجم البلدان ـ بالعربية طبعة صادر ـ بيروت ١٩٥٧ ٠

٢٣ـ يعقوب الثالث (البطريرك مار اغناطيوس)

تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ـ بالعربية ـ بيروت ١٩٥٣ ٠

٢٤ـ يوحنا دولباني (المطران مار فيلكسينوس)

الشعر عند السريان ـ بالسريانية تعريب الخورفسقفوس برصوم يوسف ايوب ـ طبعة حلب ١٩٧٠ ٠

٢٥ـ يوسف الدبس (المطران)

تاريخ سورية ـ بالعربية ـ طبعة بيروت ١٨٩٩ ٠

فهرست الكتــاب

فهرست الكتـاب

SYRIAC ACADEMY PUBLICATION

Mar Ephraim The Syrian

By:

Archbishop Zakka Iwas

On the occasion of the Festival Ephraim—Hunayn

Baghdad 4 — 7/2/1974

AL-HURRIYA PRINTING HOUSE
GOVERNMENT PRESS
1974